
اجاثا كريستي
مغامرات "بوارو"



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

– بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

– كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

مغامرات «بوارو»

«هركيول بوارو» المخْبر الخاص الذي تَعْتَمد عَلَيْه جُلُّ رِوَايات «أجاثا كريستي» هذا الرجُل يتَّسم بحدّة الذَّكَاء، وهو مُدهش في حَديثه، هَادِئ في طبَاعه. يَعْرفُ كيفَ يحلّ المشْكلة المسْتَعْصية بسرْعة وَبَراعة؛ فهو حَاضر البَديهَة، يَعْمل باجْتهاد وصَبْر حَتى يَمْنَع الجريمَة قَبْل وُقُوعها.يتنَاول هذا الكتاب مجموعة من القصص التي ألَّفتْها الكاتبة المرْمُوقة «أجاثا كريستي» بأسْلُوب سَهْل مُمْتع. وكان «بوارو» هو الشَّخْصيَّة الرَّئيسَة التي دَارَت حَوْلها كلُّ الأحداث، وكل المغامرات.

ثمن الكتاب

البلد	الثمن	البلد	الثمن
لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال


9 789953 383798

مغامرات بوارو

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

مغامرات بوارو

(82)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للصحافة – دار البشير – دار إي بي سي

الغلاف بريشة الفنان

سمير غصن

- 1 -

الخطيئة المزدوجة

ذهبت إلى مسكن صديقي "**بوارو**" لأجده مجهدا مهموما من كثرة العمل ، فقد أصبح ذائع الصيت تلجأ إليه كل سيدة ثرية إذا فقدت سوارها أو ضاع كلبها ، وأصبح "**هركيول بوارو**" المخبر العظيم مثقلا بالعمل .. وصديقي صغير الحجم المخبر "**بوارو**" خليط من البلچيكي البخيل والفنان المملوء بالحيوية والنشاط ، وكان يقبل كثيرا من القضايا لمجرد أنها تصادف هوى في نفسه وإن كان العائد المادي قليلا في بعض الأحيان ، وفي أحيان أخرى لا ينال أي أجر مادامت المشكلة تستهويه ، وكانت النتيجة ذلك الإجهاد والضيق الذي يعانيه صديقي؛ لذلك لم أجد عناء في إقناع "**بوارو**" بقضاء إجازة قصيرة في مصيف "**أيبرماوث**" المشهور .

كنا قد قضينا هناك أربعة أيام في سعادة عندما جاء "**بوارو**" يحمل في يده خطابا مفتوحا قائلا :

– هل تذكر صديقي "**جوزيف أرونس**" ؟

هززت رأسي علامة الإيجاب بعد برهة ، فقد كان أصدقاء "**بوارو**" كثيرين ويتدرجون من الكناسين إلى النبلاء ، وقال "**بوارو**" :

– حسن يا صديقي "**هاستنجز**" .. يقيم "**جوزيف أرونس**" الآن في شاطئ "**شارلوك**" ، وقد رجاني أن أخف إلى نجدته لحل مشكلة تزعجه ، وأنت تعلم أن "**جوزيف**" صديق قديم وقد أدى إليَّ في الماضي خدمات جليلة ولا مفر من إجابته إلى طلبه .

– بالتأكيد إذا كان هذا ما تفكر فيه .. أعتقد أن شاطئ "**شارلوك**" مكان جميل ومن حسن المصادفات أنني لم أره من قبل .

– نستطيع إذن أن نجمع بين العمل والمتعة .. ما رأيك في أن تستفسر عن مواعيد القطارات ؟ وقلت في غير ترحيب :

– ربما كان ذلك يعني بعض التغيير .. أنت تعرف ما يعنيه تغيير القطارات في تلك المسافات الطويلة .. أن تسافر من جنوب شاطئ "**ديفون**" إلى أقصى الشمال معناه أن تستغرق الرحلة يوما بأكمله .

على أي حال فقد اكتشفت عند الاستعلام عن مواعيد القطارات أننا لن نغير القطار سوى مرة واحدة في "**إكستر**" وأن القطارات مريحة ، وتصادف في أثناء رحلة العودة أن مررت بمكتب شركة الأوتوبيس السريع ورأيت إعلانا مكتوبا عليه :

« غدا .. رحلة إلى شاطئ "**شارلوك**" طول اليوم .. القيام الساعة 8.30 صباحا، مشاهدة أجمل المناظر في "**ديفون**" »

حصلت على المعلومات اللازمة عن الرحلة وعدت إلى المسكن متحمسا لرحلة السيارة ، إلا أن "**بوارو**" لسوء الحظ لم يرحب بالفكرة قائلا :

– أنت تعلم يا صديقي أن القطار ليس معرضا لانفجار إطار أو لوقوع حادث ، كما أن الإنسان يستطيع أن يغلق النافذة ليتجنب تيار الهواء .

ووجهت نظره إلى أن الهواء المنعش هو الذي يحببني في رحلة السيارة فقال :

– وما رأيك لو أمطرت ؟ إن الجو لديكم في "**إنجلترا**" غير مستقر يا صديقي !

– السيارة مزودة بغطاء ، فضلا عن أن الرحلة تلغى إذا انهمر المطر بغزارة !

– آه ! إذن فلندع الله أن تمطر بغزارة !

– كلا يا صديقي .. من الواضح أنك أعددت نفسك لهذه الرحلة ومن حسن الحظ أن معي معطفي الثقيل وكوفيتين .. ولكن هل سيكون لدينا وقت معقول لقضائه على شاطئ "**شارلوك**" ؟

– حسن .. أخشى أن أقول إننا سنضطر إلى المبيت هنالك فالرحلة تتجه إلى

"**دارتمور**" ، وسوف نتناول طعام الغداء في "**مونكهامبتون**" ، ونصل إلى شاطئ "**شارلوك**" حوالي الرابعة ، ثم تستأنف السيارة الرحلة في الخامسة حيث نعود في العاشرة هنا .

– ومع هذا يوجد من يقومون بهذه الرحلة للمتعة .. لا شك في أننا سنحصل على تخفيض مادمنا لن نقوم برحلة العودة .

– لا أظن .

– يجب أن نصمم على ذلك .

– وبعد يا "**بوارو**" .. لا تكن بخيلا ، إنك تربح الكثير من المال .

– ليست المسألة مسألة بخل يا صديقي ، إنه تصرف رجال الأعمال ، حتى لو أصبحت مليونيرا فلن أدفع أكثر مما هو حق وعدل .

وكما توقعت رفض موظف شركة الأوتوبيس تخفيض الأجر وكان متشددا في موقفه ، وعندما غادرنا مكتب الشركة تمتم "**بوارو**" في ضيق :

– ليس لدى الإنجليز إحساس بقيمة المال .. ألم تلاحظ يا "**هاستنجز**" ذلك الشاب الذي دفع أجر الرحلة بالكامل رغم أنه ذكر أنه سوف يغادر السيارة في "**مونكهامبتون**" ؟

– لا أعتقد أنني فطنت إليه فقد كنت في الواقع ..

– كنت مشغولا بالنظر إلى تلك الشابة الحسناء التي حجزت المقعد رقم 5 المجاور لنا .. آه ! نعم يا صديقي لقد رأيتك ! كنت على وشك أن أحجز المقعدين13، 14 على أساس أنهما في وسط السيارة حين اندفعت بحماقة يا"**هاستنجز**" وطلبت حجز المقعدين 3، 4 ..وقلت في خجل :

– أحقا يا "**بوارو**" ؟

– الشعر الأحمر .. إنه الشعر المائل للحمرة الذي يعجبك دائما .

– على أي حال كانت الفتاة أجدر بالنظر من الشاب الغريب .

– هذا يتوقف على وجهة النظر.. كان الشاب بالنسبة إليّ أجدر بالمشاهدة .

أحسست من لهجته أنه فطن إلى ملاحظة لها قيمتها . فقلت بفضول :

– لماذا ؟ ماذا تقصد ؟

– أوه ! لا تضايق نفسك.. هل أقول إن سبب اهتمامي بالشاب أنه كان يحاول تربية شاربه فكانت النتيجة مضحكة.. تحسس "**بوارو**" شاربه الضخم برقة وأردف يقول :

– تربية الشارب فن .. لهذا فإنني أشفق على أولئك الذين يحاولون تربية شواربهم !

أحسست بالحيرة ، فلم يكن من السهل أن تعرف متى يقول "**بوارو**" الصدق ومتى يمزح على حسابك ، ومن ثم آثرت الصمت ..

كان الجو في اليوم التالي صحوا والشمس ساطعة ، ومع هذا لم يأمن "**بوارو**" للجو وأخذ معه معطفه ، وابتلع قرصين من الدواء على سبيل الاحتياط ، وحمل كل منا حقيبة صغيرة ، وكانت الشابة الحسناء التي رأيناها في اليوم السابق تحمل هي الأخرى حقيبة سفر صغيرة ، وكذلك كان الحال بالنسبة إلى الشاب الذي استلفت نظر "**بوارو**" ، وفيما عدانا نحن الأربعة لم يكن بقية الركاب يحملون حقائب . وضعنا حقائبنا بجوار السائق ثم أخذنا أماكننا في السيارة وكان "**بوارو**" خبيثا عندما ترك لي المقعد الداخلي حتى أستمتع بالهواء ليشغل المقعد المجاور للفتاة الحسناء ، ولكنه سرعان ما أصلح الموقف عندما طلب من الشابة الحسناء أن يتبادلا الأماكن حتى ينقذها من الرجل الثرثار الذي كان يجلس بجوارها ، ورحبت الفتاة بالفكرة وسرعان ما اندمج ثلاثتنا في حديث مرح .

كان من الواضح أن الفتاة صغيرة للغاية ، فلم تكن في الواقع تتجاوز التاسعة

عشرة من عمرها ، وكشفت الحسناء عن سر الرحلة التي تقوم بها ، فقد كانت تقوم بمهمة لحساب عمتها التي تدير محلا للعاديات في "**أيبرماوث**" .

وكانت هذه العمة تواجه موقفا بالغ الصعوبة عندما مات أبوها ، ولكنها استغلت المبلغ القليل الذي تركه أبوها بالإضافة إلى بعض القطع الثمينة لتبدأ عملها الناجح وتكتسب شهرة واسعة في مجال بيع العاديات ، وقد جاءت هذه الفتاة "**ماري دورانت**" لتعمل مع عمتها وتتعلم منها أصول المهنة مفضلة ذلك على العمل كممرضة ، وقال لها "**بوارو**" برقته المألوفة :

– يا آنسة .. إنني واثق بأنك سوف تحققين نجاحا . ولكنني أحب أن أقدم لك نصيحة بسيطة .. لا تكوني مفرطة الثقة بكل من تقابلينهم ؛ لأنك سوف تلتقين بالأشرار والمتشردين في كل مكان من العالم ، حتى في هذه السيارة التي نركبها ، يجب أن يكون الإنسان متشككا حريصا على الدوام . فتحت الفتاة فمها دهشة وهز "**بوارو**" رأسه قائلا :

– من يدري ؟ لعلي أنا شخصيا واحد من أولئك الأشرار العتاة ؟

توقفت السيارة في "**مونكهامبتون**" لنتناول الغداء ، واختار لنا "**بوارو**" ركنا في قاعة الطعام بالفندق حيث جلس ثلاثتنا إلى مائدة بجوار النافذة ، وكانت القاعة مملوءة بالرواد ، وأعرب "**بوارو**" عن استيائه للزحام والضجيج في الخارج ، وقالت الحسناء التي كانت تجلس بجوار النافذة بحيث ترى سيارة الرحلة :

– لم تعد "**أيبرماوث**" بالمكان الهادئ خلال الصيف .. تقول عمتي إن المكان كان هادئا في الماضي ، والآن لا يستطيع الإنسان أن يسير فوق الرصيف من شدة الزحام .وقال "**بوارو**" بهدوء :

– ولكنه مكان يصلح للعمل يا آنسة .

– ربما لم يكن صالحا لعملنا بصفة خاصة ، فنحن لا نتاجر في غير الأشياء

الثمينة.. وزبائن عمتي منتشرون في طول "**إنجلترا**" وعرضها ، إذا طلب أحدهم مقعدا معينا أو مائدة ذات مواصفات خاصة أو قطعة من الصيني النادر ، فإنه يكتب لنا ونحن نرسل له طلبه إن عاجلا أو آجلا ، وهذا ما حدث بالنسبة إلى الصفقة الحالية.

بدأ حديث الفتاة يثير اهتمامنا ، واسترسلت الفتاة في حديثها تروي قصتها.. طلب أحد الأمريكيين الأثرياء من هواة جمع الأشياء الثمينة ويدعى السيد "**باركر وود**" مجموعة دقيقة من التحف ، وكانت هذه المجموعة قد عرضت حديثا في السوق ، واشترتها عمتها السيدة "**إليزابيث بين**" ، وأرسلت خطابا إلى السيد "**وود**" تصف له فيها المجموعة وتحدد الثمن ، وأجاب على الفور قائلا إنه على استعداد لشراء المجموعة لو أنها كانت تحمل نفس الصفات المذكورة في الخطاب ، على أن يحملها إليه في مقره الحالي بشاطئ "**شارلوك**" مندوب من قبل السيدة "**بين**" ، واختارت السيدة "**بين**" ابنة أخيها الآنسة "**دورانت**" لتقوم بهذه المهمة، وقالت الفتاة في النهاية :

– إنها مجموعة جميلة ولكنني لا أتصور أن يدفع فيها إنسان خمسمائة جنيه! إنها من صنع محلات "**لوسوار**" .. إنني لست خبيرة في هذه الأشياء الثمينة .

ابتسم "**بوارو**" قائلا :

– أنت يا آنسة لم تصبحي خبيرة بعد ؟ وقالت "**ماري**" ببراءة :

– لم أتلق التدريب الكافي .. لم يولد الإنسان ليعرف كل شيء عن الأشياء القديمة .. على الإنسان أن يتعلم الكثير .

تنهدت الفتاة ثم رأيت عينيها تتسعان فجأة تعبيرا عن الدهشة البالغة ، وكانت تتطلع عبر النافذة إلى الحديقة ، ونهضت الفتاة واندفعت إلى الخارج مسرعة ، ولم تغب أكثر من دقائق وعادت تعتذر لخروجها المفاجئ قائلة :

– إنني شديدة الأسف لخروجي بهذه الصورة ، ولكن خيل إليّ أن رجلا يحاول أخذ حقيبتي من السيارة وأسرعت لألحق به ، ولكنني اكتشفت أنه كان يأخذ حقيبته وهي مشابهة لحقيبتي تماما – وقد أحسست بالغباء لأن الأمر بدا كما لو أنني أوجه إليه الاتهام بالسرقة . ضحكت الفتاة برقة ، ولكن "**بوارو**" لم يشاركها الضحك وقال باهتمام :

– هل تستطيعين أن تصفي الرجل يا آنسة ؟

– شاب نحيل يرتدي بدلة بنية اللون وله شارب خفيف للغاية .

– آه .. صديق أمس يا "**هاستنجز**" .. هل تعرفين الشاب يا آنسة ؟ هل رأيته قبل ذلك ؟

– كلا لم أره قط، ولكن لماذا ؟

– لا شيء .. شيء غريب .. هذا كل ما في الأمر . استسلم "**بوارو**" للصمت ولم يحاول أن يشارك في الحديث إلى أن ذكرت "**ماري دورانت**" في حديثها ما أثار انتباهه فقال :

– ماذا كنت تقولين يا آنسة ؟

– كنت أقول إنه يجب عليّ أن أكون شديدة الحرص في رحلة العودة من أولئك الأشرار العتاة الذين كنت تتحدث عنهم .. أعتقد أن السيد "**وود**" يدفع ثمن مشترياته نقدا ، وسوف أحمل خمسمائة جنيه ، وهو مبلغ ولا شك سوف يستلفت أنظار الأشرار .

ضحكت الفتاة ولكن "**بوارو**" لم يستجب لها في هذه المرة أيضا ، وعلى العكس سألها عن الفندق الذي سوف تنزل فيه في شاطئ "**شارلوك**" ، وقالت الفتاة :

– فندق "**أنكور**" .. إنه فندق صغير وأسعار الإقامة فيه رخيصة ولكنه فندق

لطيف للغاية . وقال "بوارو" على الفور :

ـ هكذا ! إنه نفس الفندق الذي اختاره "هاستنجز" .. يا لها من مصادفة غريبة! وغمز لي "بوارو" بعينه بينما قالت الفتاة :

ـ هل ستبقيان طويلا في شاطئ "شارلوك" ؟

ـ ليلة واحدة فقط.. لدي عمل عاجل .. لا أظن أنك تستطيعين أن تخمني ما هي مهنتي يا آنسة. وراحت "ماري" تفكر في بضعة احتمالات ثم ترفضها ربما على سبيل الحذر، ثم قالت في النهاية إن "بوارو" يعمل ساحرا مما ابتهج له "بوارو" كثيرا وقال :

ـ آه ! يا لها من فكرة مدهشة ! هل تفكرين أنني أخرج الأرانب من قبعتي ؟ كلا يا آنسة .. مهنتي على العكس تماما من مهنة الساحر.. فالساحر يعمل على إخفاء الأشياء . أما أنا فأعمل على إظهار الأشياء المختفية. ومال "بوارو" بجسمه قليلا إلى الأمام وهو يقول للفتاة بطريقة مسرحية :

ـ هذا سر ولكنني سوف أكشفه لك يا آنسة .. أنا مخبر خاص .

وعاد "بوارو" بكرسيه إلى الوراء مسرورا للأثرالذي أحدثته كلماته ، فقد حملقت "ماري دورانت" إلى وجهه بدهشة بالغة ، وتوقف الحديث عند هذا الحد فقد انطلقت أبواق السيارات في الخارج ، وبينما كنا نغادر قاعة الطعام تحدثت مع "بوارو" عن سحر الفتاة التي شاركتنا الغداء وقال :

ـ نعم .. الفتاة جذابة ولكن ألا توافقني على أنها حمقاء ؟

ـ حمقاء ؟

ـ لا داعي للغضب .. قد تكون الفتاة حسناء ، وذات شعر أحمر ومع هذا تتميز بالغباء .. إنها لحماقة شديدة أن تكشف الفتاة لغريبين عن أسرارها بهذه البساطة .

ـ لعلها اطمأنت إلينا .

– هذا غباء .. أي إنسان يجيد عمله يستطيع أن يتظاهر بالطيبة .. وقد تحدثت هذه الفتاة عن الحذر الذي ينبغي أن تتذرع به عندما تحمل خمسمائة جنيه ، ولكنها معها الآن بالفعل خمسمائة جنيه .. هي عبارة عن تحف .

– نعم .. فليس هناك فارق كبير بين التحف والنقود يا صديقي العزيز .

– ولكن أحدا لا يعرف شيئا عن الأشياء الثمينة التي تحملها .

– بل هنالك الجرسون والأشخاص الذين كانوا يحتلون المائدة المجاورة لنا في قاعة الطعام ، ومن يدري عدد الذين يعرفون كذلك في "**أيبرماوث**" ! الآنسة "**دورانت**" فاتنة ولكن لو أني كنت في موضع الآنسة "**إليزابيث بين**" ، لكان أول واجباتي أن أعلم هذه الشابة بعض التعقل . وسكت "**بوارو**" برهة ثم أردف يقول :

– أنت تعلم يا صديقي أن أسهل شيء في الدنيا أن يأخذ أي إنسان واحدة من تلك الحقائب في أثناء فترة تناول الطعام . وقلت له معترضا :

– لا تقل هذا يا "**بوارو**" .. من المؤكد أن أحدا لا يستطيع أن يفعل ذلك دون أن يتنبه إليه الناس .

– وهؤلاء الناس ماذا يرون ؟ شخص يحمل حقيبته .. وهذا أمر طبيعي لا يتطلب تدخل الناس !

– ولكن الشاب الذي يرتدي الحلة البنية .. ألم تكن تلك حقيبته ؟ وقال "**بوارو**" مقطبا :

– هكذا يبدو الأمر .. ولكن الموقف يبدو غريبا يا "**هاستنجز**" .. لماذا لم يحمل الشاب حقيبته قبل ذلك عندما توقفت السيارة ساعة الوصول .. لعلك قد لاحظت أنه لم يتناول طعامه هنا . فقلت له :

– لو لم تكن الآنسة "**دورانت**" جالسة بجوار النافذة لما شاهدته .

– ونظراً إلى أن الحقيبة كانت حقيبته بالفعل فلم يكن للأمر أهمية .. فلنطرد هذه الأفكار يا صديقي ..

ورغم ذلك فإن "**بوارو**" ألقى محاضرة على الفتاة عند ركوبنا السيارة في ضرورة الحرص ومراعاة الحذر ، وتقبلت الفتاة النصيحة بوداعة وهي تنظر إلى الموضوع بمزاح، وعندما وصلنا إلى شاطئ "**شارلوك**" كنا محظوظين عندما وجدنا أماكن في فندق "**أنكور**" ، ولم يكد "**بوارو**" يفتح حقيبته ويخرج الأدوات الضرورية ويبدأ في دهان شاربه استعدادا للذهاب إلى "**جوزيف أرونس**" ، حتى دوت طرقة غاضبة على الباب ، وعندما أذنت للطارق بالدخول فوجئت بـ"**ماري دورانت**" ممتقعة الوجه وهي تبكي بكاء حارا وقالت لـ"**بوارو**" :

– أرجو المعذرة ولكن .. لقد وقع المحظور .. ألم تقل إنك مخبر خاص ؟ قال "**بوارو**" بهدوء :

– ما الذي حدث يا آنسة ؟

– فتحت حقيبتي .. كانت التحف محفوظة داخل حقيبة صغيرة مصنوعة من جلد التمساح ومغلقة بالقفل .. انظر الآن !

عرضت الفتاة الحقيبة الجلدية الصغيرة وكانت مفتوحة ، وكان من الواضح أن الشخص الذي فتحها استخدم القوة فقد كانت آثار المحاولة واضحة ، وقال "**بوارو**" وهو يهز رأسه :

– والتحف ؟ وقالت الفتاة باضطراب :

– اختفت .. سرقت .. يا إلهي ! ماذا أفعل الآن ؟ وقلت لها مواسيا :

– لا تقلقي .. هذا هو صديقي "**بوارو**" .. لا شك في أنك سمعت عنه .. سوف يعيد إليك المسروقات . وقالت الفتاة بدهشة:

– السيد "**بوارو**" .. السيد "**بوارو**" العظيم ؟

لم يستطع "**بوارو**" أن يخفي شعوره بالارتياح لكلمات الفتاة وبدا ذلك في لهجة صوته عندما قال :

– نعم يا طفلتي.. أنا "**بوارو**" بلحمه وشحمه وتستطيعين أن تتركي الأمر بين يدي ، وسوف أفعل ما أستطيع فيما عدا أني أخشى وأخشى بحق أن يكون الوقت قد أصبح متأخرا.. أخبريني هل فتح قفل الحقيبة الكبيرة بالقوة أيضا؟ هزت الفتاة رأسها وقال "**بوارو**" :

– دعيني أفحصها من فضلك .

ذهبنا معا إلى غرفتها ، وفحص "**بوارو**" حقيبة السفر بإمعان ، وكان من الواضح أنها فتحت بمفتاح وقال "**بوارو**" :

– الأمر في غاية البساطة .. مثل هذه الحقائب تفتح بمفاتيح عادية .. حسن ياصديقي .. يجب أن نخطر الشرطة ثم نقوم بالاتصال بالسيد "**باركر وود**" بأسرع وقت ممكن ، سوف أتولى هذه المهمة بنفسي .

خرجت معه وسألت عما كان يعنيه بقوله إنه يخشى أن يكون الوقت متأخرا فأجابني قائلا :

– يا صديقي، لقد قلت اليوم أن مهنتي على العكس تماما من مهنة الساحر.. أي أنني أعمل على إظهار الأشياء التي تختفي ، ولكن فلنفرض أن شخصا سبقني إلى ذلك ؟ هل فهمت ؟ سوف تتبين لك الحقيقة خلال دقيقة !

اختفى "**بوارو**" داخل كشك التليفون ، وعاد بعد خمس دقائق متجهما، وقال:

– صح ما توقعته .. منذ نصف ساعة توجهت سيدة إلى السيد "**وود**" ومعها قطع التحف قائلة إنها مندوبة من قبل الآنسة "**إليزابيث بين**" ، وأعجب الرجل بالقطع الثمينة ودفع الثمن في الحال . وقلت بدهشة :

– منذ نصف ساعة .. قبل وصولنا ؟ ابتسم "**بوارو**" ابتسامة غامضة وهو يقول:

– الأوتوبيسات السريعة سريعة حقا ، ولكن سيارة سريعة تقوم من "**مونكهامبتون**" تستطيع أن تسبقنا بساعة على الأقل .

– وكيف نتصرف الآن ؟

– "**هاستنجز**" الطيب رجل عملي دائما .. سوف نخطر الشرطة . ونفعل ما في وسعنا لمساعدة الآنسة "**دورانت**" .. ولا بد لنا من مقابلة السيد "**باركر وود**" .

نفذنا البرنامج الذي أشار به "**بوارو**" وكانت "**ماري دورانت**" التعسة في أسوإ حال وتخشى أن توجه إليها عمتها اللوم ، وقال "**بوارو**" معلقا على ذلك ونحن في طريقنا إلى فندق السيد "**وود**" :

– من المحتمل أن تفعل العمة ذلك ولها كل الحق .. كيف تترك الفتاة الحقيبة وفيها قطع ثمينة تساوي خمسمائة جنيه وتذهب إلى صالة الطعام! ومع هذا ياصديقي العزيز .. هناك حقيقة أو حقيقتان بشأن تلك الحقيبة الجلدية الصغيرة تستلفتان النظر .. لماذا فتح القفل بالقوة ؟

– للحصول على القطع الثمينة .

– ولكن ألم تكن تلك حماقة ؟ كان باستطاعة اللص أن يتظاهر بالبحث عن حقيبته وينقل الحقيبة الجلدية الصغيرة إلى حقيبته دون أن يضيع الوقت في محاولة فتحها بالقوة .

– لعله كان يريد التأكد من وجود القطع الثمينة .

لم يقتنع "**بوارو**" بهذا التبرير ، وانقطع الحديث عندما سمح لنا بمقابلة السيد "**وود**" ، ولم أشعر بالارتياح للسيد "**وود**" منذ النظرة الأولى ، فقد كان طويلا شديد العناية بثيابه ويزين إصبعه بخاتم ذي ألماسة كبيرة ، فضلا عن ثرثرته ورغبته في الحديث بصوت مرتفع ، وقال السيد "**وود**" إنه شعر بالارتياح ، ولماذا يشك في الأمر ؟ لقد كانت المندوبة تحمل القطع الثمينة بالفعل .. وعند سؤاله عما إذا

كانت لديه أرقام الأوراق المالية التي دفعها قال :

– بالتأكيد لا .. ثم قال :

– وعلى أي حال من يكون السيد "**بوارو**" ، وبأي صفة يوجه إليَّ كل هذه الأسئلة ؟ فقال "**بوارو**" بهدوء :

– لن أوجه إليك أكثر من سؤال واحد أخير . هل تذكر أوصاف السيدة التي قدمت إليك التحف الثمينة ؟ هل كانت شابة حسناء ؟

– كلا يا سيدي .. كانت سيدة طويلة في منتصف العمر شعرها رمادي ووجهها مليء بالبثور ولها شارب خفيف .

◆◆◆◆◆

وعندما غادرنا الفندق ، قلت لـ"**بوارو**" في دهشة :

– ألم تسمع يا "**بوارو**" ؟

– لدي أذنان تسمعان جيدا يا "**هاستنجز**" .. شكرا لك .

– لكن يا له من رجل كئيب .

– ليس جذابا على أي حال ..

– حسن .. يجب أن نقبض على السارق ... نحن نستطيع أن نتعرَّفه بسهولة :

– إنك ساذج إلى أبعد الحدود يا "**هاستنجز**" .. ألم تسمع عن وجود ماسمي بالشاهد ؟

– هل تظن أن لديه شاهدا يشهد على وجوده معه في الوقت الذي حدثت فيه السرقة ؟ وأجاب "**بوارو**" على غير المتوقع بقوله :

– إنني أرجو ذلك من صميم قلبي . وقلت له في ضيق :

– مشكلتك أنك تحب أن تكون المشاكل معقدة وصعبة .

– هذا صحيح تماما يا صديقي .. إنني لا أحب – ما تسميه – الطائر الجالس في انتظارك !

كان "**بوارو**" محقا في نبوءته ، فقد اتضح أن زميلنا في السفر صاحب البدلة ذات اللون البني يدعى السيد "**نورتون كين**" . وأنه توجه رأسا عند وصولنا إلى "**مونكهامبتون**" إلى فندق "**جورج**" وظل ملازما الفندق طوال فترة ما بعد الظهر، ودليل الاتهام الوحيد ضده هو شهادة الآنسة "**دورانت**" التي قالت إنها شاهدته يعبث بالحقائب ساعة الغذاء ، وعلق "**بوارو**" على ذلك قائلا :

– وهذا العمل ليس فيه أي خطإ.. والتزم "**بوارو**" الصمت بعد هذا التعليق ورفض أن يستأنف الحديث في الموضوع ، وعندما ألححت عليه قال :

– إني أفكر في الشوارب بصفة عامة، وأنصحك أنت أيضا أن تفكر في نفس الموضوع .

وقد اكتشفت على أي حال أن "**بوارو**" طلب من "**جوزيف أرونس**" – عندما التقى به في المساء – أن يزوده بكل المعلومات التي يعرفها عن السيد "**باركر وود**" حيث كان الاثنان يقيمان في نفس الفندق ، وأيا كانت المعلومات التي حصل عليها "**بوارو**" فإنه احتفظ بها لنفسه ..

عادت الآنسة "**دورانت**" إلى "**أيبرماوث**" بالقطار صباح اليوم التالي بعد بضعة لقاءات مع رجال الشرطة ، وأخبرني "**بوارو**" أنه على استعداد للعودة مشترطا ركوب القطار هذه المرة ، وقلت له ضاحكا :

– هل تخشى أن تنشل نقودك أم لعلك تخشى أن تلتقي مرة أخرى بفتاة في ورطة ؟

– كلا الأمرين يمكن أن يحدث لي في القطار أيضا يا "**هاستنجز**" .. السبب أنني أريد العودة بسرعة إلى "**أيبرماوث**" لاستئناف تحرياتي في قضيتنا ..

– قضيتنا ؟

– نعم يا صديقي .. لقد التمست الآنسة "**دورانت**" مساعدتي ، ونظراً إلى أن القضية قد أصبحت الآن بين أيدي رجال الشرطة ، فلست حرا في أن أنفض يدي من الأمر حتى لا يقال إن "**هركيول بوارو**" تخلى عن مساعدة غريب في محنته !

– أعتقد أنك كنت مهتما بذلك الشاب في أثناء وجودنا بمكتب شركة "الأوتوبيس السياحية" وإن كنت لا أعلم سبب اهتمامك . وقال "**بوارو**" باسما :

– وأنت يا "**هاستنجز**" ؟ كان ينبغي لك أن تهتم به مثلي .. حسن حسن.. سوف يظل هذا سري الصغير الذي أحتفظ به .

التقينا قبل سفرنا بمفتش الشرطة الذي يتولى التحقيق في القضية ، وكان المفتش قد التقى بالسيد "**نورتون كين**" وصرح المفتش لزميلي بأن السيد "**كين**" اضطرب وتناقض في أقواله وأضاف المفتش في حيرة :

– ولكن كيف نجحت الحيلة ؟ لا أدري ! ربما كان للسارق صديق استغل سيارة سريعة ولكن هذه مجرد نظرية ، ويجب أن نعثر على السيارة والشريك لنقيم الدليل .. وسألت "**بوارو**" بفضول عندما اتخذنا أماكننا في القطار :

– هل تعتقد أن هذه هي الكيفية التي ارتكبت بها السرقة ؟

– كلا يا صديقي .. كانت الفكرة أكثر ذكاء من ذلك بكثير !

– ألا تخبرني بوجهة نظرك ؟

– ليس بعد .. أنت تعرف نقطة الضعف في .. فأنا لا أكشف السر حتى اللحظة الأخيرة .

– وهل ستجيء اللحظة الأخيرة عاجلا ؟

– بأسرع مما تتصور يا صديقي .

وصلنا إلى "**أيبرماوث**" بعد السادسة بقليل ، وتوجهنا على الفور إلى المحل الذي

يحمل اسم "**إليزابيث بين**" وكان المحل مغلقا ، ولكن "**بوارو**" ظل يضغط على جرس الباب بإصرار . وفوجئنا بـ"**ماري**" تفتح لنا الباب بنفسها معبرة عن دهشتها وسرورها لرؤيتنا ، وطلبت منا الدخول ومقابلة عمتها التي كانت تجلس في حجرة خلفية ، ووقفت العجوز مرحبة بقدومنا ، وكان شعرها أبيض وتبدو كقطعة من العاديات العتيقة التي تتجر فيها ، وقالت بصوت هادئ ساحر :

– أهذا هو السيد "**بوارو**" العظيم ؟ كانت "**ماري**" تحدثني عنك وكان من الصعب عليّ أن أصدق . هل نطمع في أن تساعدنا حقا ؟ حملق "**بوارو**" في وجهها برهة دون أن يجيب ثم انحنى انحناءة خفيفة وهو يقول :

– الآنسة "**بين**" ! التأثير ساحر ولكن يجب أن تنتفي شاربك ! فشهقت الآنسة "**بين**" في ارتياع وتراجعت إلى الخلف وأردف "**بوارو**" يقول :

– لقد تغيبت عن عملك بالأمس .. أليس كذلك ؟

– كنت في المحل صباحا وعدت إلى المنزل عندما شعرت بصداع شديد .

– ليس إلى المنزل يا آنسة .. لقد رأيت العلاج الأفضل للصداع أن تستنشقي الهواء .. أليس كذلك ؟ نسيم شاطئ "**شارلوك**" منعش على ما أعتقد. وأمسك "**بوارو**" بذراعي وجذبني إلى الخارج . وقبل أن تنفذ من الباب التفت إلى العجوز قائلا :

– لعلك تدركين أنني أعلم كل شيء . هذه المهزلة الصغيرة يجب أن تتوقف. يبدو أن لهجة "**بوارو**" كانت تحمل معنى التهديد؛ لأن العجوز هزت رأسها مؤمنة ، والتفت "**بوارو**" إلى الفتاة قائلا :

– وأنت يا آنسة .. أنت شابة حسناء ، ولكن الاشتراك في مثل هذا العمل قد يكلفك التواري خلف أسوار السجون. وإذا حدث ذلك فإنه يكون أمرا مؤسفا حقا. خطا "**بوارو**" بعد ذلك إلى الطريق وأنا أتبعه في حيرة ، وقال:

– لقد بدأ اهتمامي عندما رأيت ذلك الشاب في مكتب الشركة يحجز تذكرة إلى "**مونكهامبتون**" فقط ، ثم رأيت نظرات الفتاة تتجه إليه باهتمام .. لماذا ؟ لم يكن الشاب جذابا أو من ذلك الطراز الذي يجتذب أنظار الحسناوات .. وعندما ركبنا الأتوبيس أحسست أن شيئا سوف يحدث .. من الذي شاهد الشاب يعبث بالحقيبة ؟ الآنسة والآنسة وحدها .. وتذكر أنها هي التي اختارت مكانها في السيارة وهو ليس بالمكان المفضل للسيدات .. وسكت "**بوارو**" برهة ثم أردف يقول :

– ثم تجيء الفتاة لتخبرنا بالسرقة وقصة القفل المغتصب وقد قلت قبل ذلك إن الأمر بدا لي سخيفا .. وما هي النتيجة ؟ يكون السيد "**باركر وود**" قد دفع ثمن بضائع مسروقة . ويجب أن تعاد المسروقات إلى الآنسة "**بين**" وبدلا من أن تبيع الآنسة "**بين**" التحف بخمسمائة جنيه تبيعها بألف .. وقد تأكدت من تحرياتي أن أحوالها المالية ليست على ما يرام فقلت على الفور .. إنها لعبة تشترك فيها الشابة الحسناء مع العمة العجوز .

– إذن فأنت لم تشك لحظة واحدة في أن يكون "**نورتون كين**" هو السارق؟

– بذلك الشارب يا صديقي ؟ المجرم يحرص على أن يكون حليق الشارب أو كث الشارب حتى يتخلص منه عند اللزوم .. ويا لها من فرصة تستغلها الآنسة "**بين**" بذكائها الخارق . سيدة عجوز مغضنة الوجه تستطيع أن تستعين بالمساحيق لتنثر البثور على وجهها ثم تضع شعيرات خفيفة على الشفة العليا، وتلبس حذاء يرفع قامتها كالرجال ، ماذا تكون النتيجة ؟ سيدة مسترجلة ، ألم يكن هذا ما قاله السيد "**وود**" ، ولكن الوصف يصبح في نظري سيدة تتنكر في شكل رجل .

– وهل تعتقد أنها ذهبت بالأمس إلى شاطئ "**شارلوك**" ؟

– بكل تأكيد .. لعلك تذكر أنك قلت لي إن القطار يصل إلى "**شارلوك**" في

الساعة الثانية ، ولعله يقطع رحلة العودة في وقت أقصر .. وهكذا تكون التحف لم توضع أصلا في الحقيبة الجلدية الصغيرة ، وتكون مشكلة القفل المكسور قد أعدت في فترة سابقة على الرحلة ..

كان على الآنسة "**ماري**" أن تبحث عن اثنين من السذج تتناول معهما الحديث وتغريهما بسحرها ليكونا شاهدين على المحنة التي تواجهها ، ولكن واحدا من هذين الساذجين لم يكن ساذجا .. لأنه كان "**هركيول بوارو**" !

لم تعجبني تلك الملاحظة وقلت بسرعة :

– إذن فقد كنت تخدعني عندما قلت إنك تساعد غريبا في محنته .. ؟

– إنني لم أحاول أن أخدعك قط يا "**هاستنجز**" .. أنت الذي تسمح لنفسك بالوقوع فريسة الخداع .. لقد كنت أشير إلى السيد "**باركر وود**" عندما كنت أقول إن "**بوارو**" لا يتخلى عن مساعدة الغرباء في محنهم .. كان السيد "**باركر وود**" يزور شاطئ "**شارلوك**" ، فهو غريب عن المكان ، وأنا وأنت يا "**هاستنجز**" كنا نزور الشاطئ ، ويجب أن نناصر الغرباء

- 2 -

عش الزنبور

خرج "**جون هاريسون**" من المنزل ووقف في الشرفة يطل على الحديقة ، وكان "**هاريسون**" رجلا طويلا نحيل الوجه شاحب اللون ، وكان ساعة خروجه مكتئبا عابسا إلا أن الابتسامة سرعان ما علت شفتيه وهو ينظر بافتتان إلى حديقته الجميلة بأزهارها التي يعطر أريجها المكان ويضفي عليه سحرا وجمالا ، وكان "**جون هاريسون**" يحب حديقته ويعتني بها عناية خاصة ، وكانت حديقته في ذلك

الوقت من شهر آب (أغسطس) في أبهى زينتها . .

سمع "**جون هاريسون**" صرير باب الحديقة وأدار وجهه ناحية الصوت في حدة :

– من القادم من باب الحديقة ؟

ظهرت على وجه "**هاريسون**" بعد برهة علامات الدهشة البالغة ، لأنه سرعان ما تبين أن القادم آخر إنسان في العالم كان يتوقع وجوده في ذلك المكان ، وصاح "**هاريسون**" :

– يا إلهي . . السيد "**بوارو**" !

كان القادم بحق "**بوارو**" . . "**هركيول بوارو**" " المخبر العظيم الذي ذاع صيته كمخبر خاص في كل أرجاء العالم ، وقال "**بوارو**" :

– نعم . . إنه أنا حقا . . لقد قلت لي ذات يوم . . تعال لتراني إذا وجدت نفسك قريبا من المكان . . وأنا أربطك بوعدك وهأنذا قد جئت . وقال "**هاريسون**" بحرارة :

– إنني سعيد لرؤيتك . . اجلس وتناول مشروبا . . وأشار "**هاريسون**" إلى الزجاجات المرصوصة بعناية على المنضدة الموضوعة بالشرفة . وقال "**بوارو**" :

– شكرا لك . . يكفيني إذن كأس من الشراب . . وجلس "**بوارو**" ثم تابع حديثه قائلا :

– يا للأسف . . لقد أصبح شاربي جافا من شدة الحرارة ! وسأله "**هاريسون**" وهو يجلس على مقعد مقابل :

– وما الذي أتى بك إلى هذه البقعة الهادئة ؟ المتعة ؟

– كلا يا صديقي . . العمل .

– العمل ؟ ! في هذا المكان المنعزل عن العالم ؟ هز "**بوارو**" رأسه وقال :

– نعم يا صديقي . . أنت تعلم أن كل الجرائم لا ترتكب وسط الزحام . فضحك

الرجل الآخر وهو يقول :

– أعتقد أن ملاحظتي كانت ملاحظة سخيفة .. ولكن أي نوع من الجريمة تحقق فيه هنا أم لعله ليس من حقي أن أسأل ؟ وقال المخبر بهدوء :

– تستطيع أن تسأل .. بل في الواقع أفضل أن توجه السؤال . فنظر إليه "**هاريسون**" بدهشة وقد أحس أن في الأمر شيئا غير عادي وقال :

– كنت تقول إنك تحقق في جريمة . أهي جريمة خطيرة ؟

– جريمة من أخطر الجرائم .

– تعني ..

– جريمة قتل .

نطق "**بوارو**" بتلك العبارة بطريقة جادة جعلت "**هاريسون**" يعتدل في جلسته باهتمام ، وكان المخبر في نفس الوقت يحدق إلى وجه "**هاريسون**" بطريقة مثيرة جعلت الرجل يشعر بالحيرة والارتباك ، ثم قال أخيرا :

– ولكنني لم أسمع عن جريمة وقعت قريبا من هذا المكان . قال "**بوارو**" بهدوء :

– كلا .. لم يكن باستطاعتك أن تسمع عنها .

– من الذي قتل ؟

– لا أحد حتى هذه اللحظة .

– ماذا تقول ؟

– إنني أحقق في جريمة لم تقع بعد ، لهذا قلت لك إنه لم يكن باستطاعتك أن تسمع عن الجريمة .

– ولكن هذا الذي تقوله هراء .

– كلا بالمرة .. إذا كان الإنسان يستطيع أن يحقق في الجريمة قبل وقوعها ، فمن المؤكد أن هذا أفضل من التحقيق بعد ارتكاب الجريمة .. بل لعل الإنسان يستطيع

أن يمنع وقوع الجريمة . حدق "**هاريسون**" إلى وجه المخبر بدهشة ثم قال :

– لا أظن أنك جاد فيما تقول يا سيد "**بوارو**" . وهل تؤمن حقا أن الجريمة توشك أن ترتكب ؟ أوه .. ولكن هذا هراء ! قال "**بوارو**" بهدوء :

– نعم ، ما لم نتعاون معا على منع وقوع الجريمة ..

– تقول نتعاون معا ؟

– نعم .. هذا ما قلته لأنني سوف أحتاج إلى مساعدتك .

– أهذا هو سبب مجيئك إلى هنا ؟ مرة أخرى أطال "**بوارو**" النظر إلى وجه "**هاريسون**" مما أثار القلق في نفس الأخير ، وأردف "**بوارو**" يقول :

– أرى يا سيد "**هاريسون**" أن لديك عشًا للزنابير .. يجب أن تتخلص من ذلك العش .كان لتغيير دفة الحديث أثره في ازدياد القلق الذي يشعر به "**هاريسون**" . وقال للمخبر في حيرة :

– سوف أفعل ذلك في الواقع .. أو بمعنى أصح سوف يقوم بهذه المهمة "**لانجتون**" الشاب .. ألا تذكر "**كلود لانجتون**" ؟ لقد كان يتناول معي طعام العشاء ، عندما قابلتك آخر مرة .. سوف يأتي الليلة ليزيل العش . فهو يجد متعة خاصة في القيام بهذا العمل . وقال "**بوارو**" بهدوء :

– آه ! وكيف يؤدي هذه المهمة ؟

– بالبترول عن طريق الرشاشة .. سوف يحضر رشاشته لأنها أنسب لهذه المهمة من رشاشتي .

– توجد طريقة أخرى ، أليس كذلك ؟ بواسطة سيانيد البوتاسيوم ؟ فاضطرب "**هاريسون**" قليلا ثم قال :

– بلى .. ولكن تلك المادة بالغة الخطورة .. مجرد وجودها في المكان يمثل خطرا مميتا . هز "**بوارو**" رأسه مؤمنا ثم قال :

– نعم .. إنها سم قاتل .. وسكت "**بوارو**" برهة ثم كرر قوله :

– سم قاتل ..

– ولكنها مادة مفيدة إذا فكرت في التخلص من حماتك! ظل "**بوارو**" عابس الوجه، وأردف يقول:

– ولكن هل أنت واثق يا سيد "**هاريسون**" بأن السيد "**لانجتون**" سوف يستخدم طريقة الرش بالبترول للتخلص من عش الزنابير؟

– تمام الثقة. لماذا؟

– الذي أثار دهشتي أني كنت في صيدلية "**بارشستر**" بعد ظهر اليوم. ونظراً إلى أن إحدى المواد التي اشتريتها كانت تتطلب مني التوقيع على الدفتر المعد لمشتريات السموم فقد لاحظت أن الذي وقَّع على آخر العمليات يحمل اسم "**كلود لانجتون**" . وقال "**هاريسون**" بدهشة:

– هذا غريب.. لقد أخبرني "**لانجتون**" في الليلة الماضية بأنه لم يفكر قط في استخدام هذه المادة، وأضاف أنه من الواجب ألا تعرض هذه المادة للبيع. تظاهر "**بوارو**" بالنظر إلى الأزهار وكان صوته هادئا تماماً عندما قال:

– هل تحب "**لانجتون**"؟ فوجئ الآخر ولم يكن مستعدا للإجابة عن مثل هذا السؤال وقال في اضطراب ظاهر:

– أ.. أنا.. حسن.. إنني أحبه بالتأكيد.. إنني أحبه ولا شك.. ولماذا لا أحبه؟

وقال "**بوارو**" بهدوء:

– كنت أتساءل في دهشة عما إذا كنت تحبه حقًّا. ونظراً إلى أن "**هاريسون**" لم يجب، فقد تابع "**بوارو**" حديثه قائلاً:

– كما أنني أتساءل أيضا عما إذا كان هو بدوره يحبك.

– ما الذي تريد أن تقوله يا سيد "**بوارو**"؟ هنالك فكرة تلح على ذهنك لا

أستطيع أن أتبينها.

– سوف أكون صريحا معك.. أنت مرتبط بمشروع للزواج يا سيد "**هاريسون**".. إنني أعرف الآنسة "**مولي دين**".. إنها فاتنة.. جميلة جداًّ، وقد كانت مخطوبة قبل ارتباطها بك لـ"**كلود لانجتون**"، وقد فسخت خطبتها منه؛ لترتبط بك. هزَّ "**هاريسون**" رأسه مؤمنا، وتابع "**بوارو**" حديثه قائلاً:

– إني لا أسألك عن الأسباب التي أدت إلى فسخ الخطبة، فقد تكون هناك أسباب وجيهة، ولكن الذي أود أن ألفت نظرك إليه هو أن "**لانجتون**" ربما لم ينسَ الموضوع ولعله لم يصفح.

– إنك مخطئ.. لقد كان "**لانجتون**" رياضيا وتقبل الموضوع بروح رياضية كرجل مهذب.. وكان رقيقا في معاملته لي.. واستمرت صداقته لي كأن شيئًا لم يحدث.

– ألا يبدو لك ذلك غريبا؟ قد يخفي الإنسان مشاعر الحقد ولا يسمح لها بالظهور إلا في الوقت المناسب. هزَّ "**هاريسون**" رأسه بإصرار، وهو يقول:

– الحقد؟ كلا.

– إن الإنجليز أغبياء جداًّ. يظنون أنهم يستطيعون خداع أي إنسان، وأن أحدا لا يستطيع أن يخدعهم.. والرجل الرياضي.. ذلك الرجل المهذب.. إنهم لا يصدقون أنه قادر على إلحاق الأذى بهم أبدا. ونظرا لأنهم يتميزون بالشجاعة مع الغباء فإنهم يموتون في بعض الأحيان حيث لا تدعو الحاجة إلى موتهم. وقال "**هاريسون**" بصوت منخفض:

– إنك تريد أن تحذرني.. إنني أدرك الآن ما كان يحيرني طول الوقت.. إنك تحذرني من "**كلود لانجتون**". قد جئت اليوم لتحذرني منه. فأومأ "**بوارو**" برأسه مؤمنا. وقفز "**هاريسون**" من مقعده فجأة قائلا:

– ولكنك مجنون يا سيد "**بوارو**" .. نحن في "**إنجلترا**" .. والأمور لا تجري على هذا المنوال هنا.. الشاب الذي يفقد حبيبته لا يطعن الناس في ظهورهم مستترا بالظلام، أو يدس لهم السم.. وأنت مخطئ فيما تنسبه إلى "**لانجتون**" .. هذا الشاب لا يستطيع أن يؤذي بعوضة.

– أرواح البعوض لا تعنيني في شيء وعلى الرغم من أنك تقول إن السيد "**لانجتون**" لا يستطيع أن يقضي على حياة واحدة فإنك تنسى أنه يعد العدة الآن؛ لقتل أرواح بضعة آلاف من الزنابير. فلم يجب "**هاريسون**" على الفور. وقف المخبر بدوره واقترب من صديقه؛ ليضع يده على كتفه، وكان "**بوارو**" مضطربا إلى الدرجة التي كاد معها أن يهز "**هاريسون**"، ويسقطه على الأرض. وهمس "**بوارو**" في أذن صديقه قائلاً:

– قف يا صاحبي.. انهض وانظر إلى حيث أشير بأصبعي.. هنالك على الشاطئ بالقرب من جذع الشجرة الكبيرة . ألا ترى الزنابير عائدة إلى بيوتها آمنة في نهاية اليوم؟ بعد ساعة سوف يحل بها الدمار، إذ يبدو أنه ليس بين الزنابير "**هركيول بوارو**" .. إنني أقول لك بأمانة يا سيد "**هاريسون**" إنني قادم إلى هذا المكان في مهمة.. الجريمة هي المهمة.. مهمتي.. وهي عملي سواء قبل وقوع الجريمة أم بعده.. في أي وقت يصل السيد "**لانجتون**" ليزيل العش؟

– لن يفكر "**لانجتون**" أبدا في أن...

– متى يصل؟

– في التاسعة.. ولكنني أؤكد لك أنك مخطئ.. لا يمكن بحال أن...

– يا لهؤلاء الإنجليز! قالها "**بوارو**" بانفعال وهو يأخذ قبعته وعصاه ويتجه نحو الحديقة، ثم استدار، وقال لصديقه:

– لن أبقى هنا لأضيع الوقت في الجدل؛ لأن ذلك سوف يثير أعصابي..

ولكنني أود أن تعلم أنني سوف أعود في التاسعة. فتح "**هاريسون**" فمه ليتكلم، ولكن "**بوارو**" لم يتح له الفرصة، وقال:

– إنني أعرف ما تريد أن تقوله.. "**لانجتون**" لن يرتكب أبدا كذا وكذا.. آه! "**لانجتون**" قد لا يرتكب شيئًا، ولكنني سوف أعود على أي حال في تمام الساعة التاسعة.. وسوف أحس بالمتعة.. سوف يسرني حقًّا أن أشاهد إزالة عش الزنابير.. فهذه واحدة من رياضتكم الإنجليزية.

ولم ينتظر "**بوارو**" ردا وانطلق من الباب كالسهم، وعندما أصبح في الخارج أبطأت خطواته، وفترت حماسته، وظهر القلق على وجهه، وأخرج الساعة من جيبه؛ ليعرف الوقت، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الثامنة إلا عشر دقائق، وهمس لنفسه: "ما يزيد على ثلاثة أرباع الساعة.. إنني أتساءل ألم يكن من الأصوب أن أنتظر؟!"

فكَّر "**بوارو**" في العودة ولكن خاطرا جعله يتراجع عن فكرته. واستمر في سيره نحو القرية، ولكنه كان لا يزال يحس بالاضطراب وهز رأسه أكثر من مرة كالرجل الذي يعبر عن عدم اقتناعه.. كان أمامه بضع دقائق قبل التاسعة عندما اقترب من الحديقة، وكانت السماء صافية والهواء راكدا بحيث لا يُسمع حفيف لأوراق الشجر. وكان الصمت الذي يخيم على المكان كالهدوء الذي يسبق العاصفة. أسرع "**بوارو**" الخطى وهو يحس بخطر لا يستطيع أن يحدد مصدره، وسمع باب الحديقة يُفتح، ثم رأى "**كلود لانجتون**" يخرج مندفعا إلى الطريق، وفوجئ الشاب عندما رأى "**بوارو**"، وقال متلعثما:

– أوه..! مساء الخير.

– مساء الخير يا سيد "**لانجتون**".. جئت مبكرا عن موعدك. حملق "**لانجتون**" إلى وجه المخبر، وهو يقول:

– لا أفهم ما تعنيه يا سيدي.

– هل تخلصت من عش الزنابير؟

– لم أفعل ذلك في الواقع. وقال "**بوارو**" بهدوء:

– أوه! إذن فلم تقضِ على عش الزنابير.. ما الذي فعلته؟

– كل ما حدث أنني جلست مع "**هاريسون**" العجوز للثرثرة بعض الوقت. يجب أن أسرع الآن يا سيد "**بوارو**".. لم تكن لدي أية فكرة أنك يمكن أن تظهر في هذه البقعة من العالم.

– كان لدي عمل هنا كما ترى.

– حسنًا.. سوف تجد "**هاريسون**" في الشرفة.. يؤسفني ألا أستطيع البقاء أكثر من ذلك. أسرع "**لانجتون**" في طريقه و"**بوارو**" يتابعه بنظراته، وكان الشاب يبدو عصبيا، وتمتم "**بوارو**" لنفسه: "إذن فسوف أعثر على "**هاريسون**" في الشرفة.. إنني في دهشة".

كان "**هاريسون**" جالسا في الشرفة على مقعد بجوار المنضدة في صمت دون أدنى حركة. ولم يلتفت نحو "**بوارو**" حينما عبر الشرفة، وقال "**بوارو**":

– آه يا صديقي! هل أنت بخير؟ مرت مدة غير قصيرة قبل أن يعتدل "**هاريسون**" في جلسته ويتحدث بصوت غريب هادئ قائلا:

– ماذا كنت تقول؟

– كنت أسأل: هل أنت بخير؟

– بخير؟ نعم أنا بخير.. ولم لا أكون بخير؟

– ألا تشعر بأي آثار ضارة؟ هذا حسن جداً.

– آثار ضارة؟ من أي شيء؟

– صودا الغسيل. وقف "**هاريسون**" فجأة، وقال:

– صودا الغسيل؟ ماذا تعني؟ وقال "**بوارو**":

– إنني أعتذر بشدة لما اضطرتني إليه الظروف.. لقد وضعت بعض صودا الغسيل في جيبك.

– وضعت بعضها في جيبي؟ ولكن لماذا بحق السماء؟ حملق "**هاريسون**" إلى وجه المخبر. وتكلم "**بوارو**" بهدوء كأنه مدرس يشرح درسا لطفل صغير:

– من مزايا العمل كمخبر، أو من مساوئ تلك المهنة أنك تضطر للتعامل مع مختلف طبقات المجرمين.. وهؤلاء المجرمون يعلمونك أشياء كثيرة فريدة من نوعها.. التقيت ذات يوم بأحد النشالين، وكان قد وجهت إليه تهمة باطلة كان بريئا منها تماما واستطعت أن أثبت براءته. وأراد أن يعبر لي عن اعترافه بالجميل فدفع لي الثمن بالطريقة الوحيدة التي يمتلكها.. أن يعلمني بعض حيل المهنة.. وهكذا تعلمت كيف أنشل جيب الضحية دون أن يفطن إلى ذلك.. أتظاهر بالاضطراب، وأضع يدي على كتفه بحيث لا يشعر بشيء، وفي نفس اللحظة أنقل ما في جيبه إلى جيبي، وأترك له في جيبه صودا الغسيل. سكت "**بوارو**" برهة، ثم أردف بصوت حالم:

– لو أراد رجل أن يضع بعض السم القاتل في كوب بأسرع ما يمكن ودون أن يتنبه إليه أحد.. فهو يضع السم في جيب الجاكيت الأيمن دون أي مكان آخر.. وقد كنت متأكدا أنه موضوع في ذلك المكان! ودس "**بوارو**" يده في جيبه، وأخرج بعض البلورات الصغيرة قائلاً:

– في منتهى الخطورة أن يحمل الإنسان شيئًا كهذا. أخرج "**بوارو**" في هدوء تام من الجيب الآخر زجاجة ذات فوهة واسعة وألقى في داخلها البلورات، ثم ملأها بالماء وأحكم وضع السدادة، ثم أخذ يرجها حتى ذابت البلورات في الماء تماما بينما "**هاريسون**" يراقبه بافتتان، وعندما اطمأن "**بوارو**" إلى النتيجة التي يرجوها نزع

السدادة عن فوهة الزجاجة ثم سكب السائل على عش الزنابير ووقف على بعد خطوات يترقب النتيجة.. كانت بعض الزنابير قادمة من الخارج؛ لتدخل العش.. ولم تكد تلمس العش حتى ارتعشت، ثم كفت عن الحركة. وبدأت بعض الزنابير تخرج من العش لتلقى حتفها على الفور، وظل "**بوارو**" يراقب المنظر بعض الوقت، ثم هز رأسه وعاد إلى الشرفة قائلاً لـ"**هاريسون**":

- موت سريع.. موت سريع للغاية. عندما وجد "**هاريسون**" صوته قال:

- إلى أي مدى تعلم الحقائق؟ ركز "**بوارو**" النظر إلى عيني "**هاريسون**"، وهو يقول:

- كما قلت لك.. لقد رأيت اسم "**كلود لانجتون**" مسجلا في دفتر السموم، ولكن الشيء الذي أخفيته عنك أنني التقيت بالشاب بعد ذلك مباشرة، وأخبرني بأنك طلبت منه شراء "**سيانيد البوتاسيوم**"؛ لاستخدامه في التخلص من عش الزنابير وبدا لي الأمر غريبا يا صديقي، لأنني أذكر حسبما جاء على لسانك أنك تؤيد فكرة استخدام البترول في التخلص من عش الزنابير وترفض بإصرار فكرة استخدام "**سيانيد البوتاسيوم**"؛ لخطورته.

- أرجوك أن تستمر.

- كما أنني عرفت شيئًا آخر.. لقد شاهدت "**كلود لانجتون**" و"**مولي دين**" معا في الوقت الذي كانا يظنان أنهما بمنأى عن الأنظار. إنني لا أعرف السبب الذي دفع العاشقين إلى الافتراق مما جعل "**مولي**" ترتمي بين أحضانك، ولكنني أدركت أن أسباب سوء التفاهم قد زالت بين الخطيبين السابقين، وأن "**مولي**" تعود إلى حبها السابق.

- أرجوك أن تستمر.

- عرفت شيئًا آخر يا صديقي.. كنت في اليوم السابق في شارع "**هارلي**"،

ورأيتك تخرج من عيادة أحد الأطباء. ولما كنت أعرف ذلك الطبيب والمرض الذي تخصص فيه، ورأيت على وجهك مشاعر لم أرها في حياتي أكثر من مرة أو مرتين، ومع هذا لا أستطيع أن أخطئ فهمها فقد تأكدت أنك رجل محكوم عليه بالموت، هل أنا مصيب أم مخطئ؟

– الحق معك تماما.. قدر لي الطبيب شهرين.

– لم ترني يا صديقي؛ لأن عقلك كان يفكر في شيء آخر.. لقد رأيت في وجهك شيئًا آخر – الشيء الذي حدثتك عنه بعد ظهر اليوم عندما قلت إن الرجال يحاولون إخفاءه – رأيت الحقد يا صديقي، لم تكلف نفسك عناء محاولة إخفائه؛ لأنك لم تكن تظن أن أحدا يراك في تلك اللحظة. سكت "**بوارو**" برهة، وقال "**هاريسون**" بقلق:

– أرجوك أن تستمر.

– لا يوجد الكثير بالإضافة إلى ما قلته.. جئت إلى هذا المكان، ورأيت اسم "**لانجتون**" بالمصادفة مسجلا في دفتر السموم كما ذكرت لك، والتقيت به ثم جئت إليك؛ لأنصب لك فخا. أنكرت أنك طلبت من "**لانجتون**" شراء "**سيانيد البوتاسيوم**"، أو تظاهرت على الأقل بالدهشة عندما ذكرت لك تلك الحقيقة، وقد صدمت عندما رأيتني للوهلة الأولى، ولكنك رأيت الفرصة مواتية عندما حاولت أن تشجعني على الشك في "**لانجتون**".. ولقد علمت من "**لانجتون**" نفسه أنه قادم في الثامنة والنصف، بينما أخبرتني بأنه لن يحضر قبل التاسعة على أمل أن أحضر بعد أن يكون كل شيء قد انتهى، وبهذا تكشفت لي الحقيقة كاملة. وقال "**هاريسون**" باضطراب:

– لماذا أتيت؟ ليتك لم تأت قط!

– لقد قلت لك إن الجريمة هي عملي.

- الجريمة! لعلك تقصد الانتحار. وقال "**بوارو**" بإصرار:

- كلا.. إنما أعني القتل.. كنت تأمل أن يكون موتك سريعا وسهلا، ولكنك خططت بحيث تكون ميتة "**لانجتون**" بشعة.. "**لانجتون**" هو الذي اشترى السم، وقد جاء لزيارتك ولا أحد معكما، وتموت فجأة ويعثرون على "**سيانيد البوتاسيوم**" في كوبك وبهذا يشنق "**لانجتون**".. تلك كانت خطتك.

تمتم "**هاريسون**" مرة أخرى بغيظ:

- لماذا أتيت؟ ما الذي أتى بك؟

- لقد ذكرت لك السبب يا صديقي، ولكنَّ لدي سببًا آخر.. لقد شعرت بالميل نحوك.. استمع إليّ يا صديقي.. أنت رجل محكوم عليه بالموت وأصبحت أيامك معدودة.. لقد فقدت الفتاة التي أحببتها. ولكنَّ هنالك شيئًا آخر لا يمكن أن يكون من صفاتك، أن تكون قاتلا.. قل لي الآن يا صاحبي هل أنت سعيد أم آسف لمجيئي؟

مرت فترة من الصمت قبل أن يتمكن "**هاريسون**" من تمالك أعصابه، وبدا على وجهه لون جديد من الكبرياء، وتألقت في عينيه نظرة الرجل الذي استطاع أن يتغلب على الشر الكامن في أعماق نفسه، ومد يده لـ"**بوارو**":

- شكرا لله على مجيئك.. أو.. شكرا لله؛ لأنك وصلت في الوقت المناسب.

- 3 -

سرقة الياقوتة الملكية

قال "**بوارو**" في إصرار:

- يؤسفني كل الأسف أنني... لم يكمل "**بوارو**" كلامه؛ لأن ضيفه قاطعه قائلاً في رجاء:

– أرجوك ألا ترفض يا سيد "**بوارو**" .. هذه ليست قضية عادية وإنما هي مشكلة تهم الدولة، وسوف يكون تعاونك موضع تقدير الجهات الرسمية العليا. أشاح "**بوارو**" بيده وقال:

– أنت كريم يا سيدي، ولكنني لا أستطيع أن أفعل ما تطلبه مني، ففي هذا الوقت من السنة... عاد السيد "**جيسموند**" يقاطعه مرة أخرى قائلاً:

– عيد الميلاد.. سترى الاحتفال بعيد الميلاد على الطريقة القديمة في الريف الإنجليزي. وارتجف "**بوارو**" لمجرد التفكير في قضاء مثل هذا الوقت من العام في الريف الإنجليزي، وعاد السيد "**جيسموند**" يقول:

– الاحتفال بعيد الميلاد كما كان يحتفل به في القرون الماضية.

– أنا.. أنا لست إنجليزيا.. وفي وطني لا يحتفل بعيد الميلاد سوى الأطفال.. الذي نحتفل به حقًّا هو العام الجديد. وقال السيد "**جيسموند**" في محاولة جديدة للإقناع:

– آه! ولكن الاحتفال بعيد الميلاد في "**إنجلترا**" شيء آخر.. والاحتفال به في "**كنجزلاسي**" له طعمه الخاص. القصر هناك قديم. وقد لا تعلم أن أحد أجنحة القصر يرجع إلى القرن الرابع عشر. ارتجف "**بوارو**" مرة أخرى لفكرة القرون الماضية في قصر من القصور الإنجليزية العتيقة في الريف، فقد كانت له ذكريات مريرة مع بعض تلك القصور القديمة في الريف الإنجليزي، وتطلع "**بوارو**" إلى وسائل الرفاهية في المسكن الفاخر الذي يقيم فيه، والتدفئة التي تتيح له الراحة والابتعاد عن التيارات الهوائية، وقال بإصرار:

– أنا لا أغادر "**لندن**" في موسم عيد الميلاد.

– لا أعتقد أنك تقدر مدى حساسية الموقف الذي نواجهه يا سيد "**بوارو**" .. التفت السيد "**جيسموند**" نحو الشاب الآخر الذي كان يجلس في الحجرة دون أن

يشترك في الحديث، ولم يزد ما قاله الشاب منذ قدومه عن قوله لـ"**بوارو**" : «كيف حالك يا سيدي؟»، وكان الشاب منكس الرأس في تلك اللحظة ينظر إلى حذائه اللامع وعلى وجهه الأسمر علامات القلق والتعاسة الشديدة، ولم يكن الشاب في الواقع قد تجاوز العام الثالث والعشرين من عمره، وقال "**هركيول بوارو**" :

– نعم نعم.. مما لا شك فيه أن الموقف دقيق.. إنني أقدر ذلك تماما، ولسمو الأمير أعمق التقدير والعطف. وقال السيد "**جيسموند**" :

– الموقف دقيق للغاية. حوَّل "**بوارو**" نظراته من الشاب إلى الرجل الآخر، وإذا أراد الإنسان أن يصف السيد "**جيسموند**" بإيجاز لكان الوصف المناسب أنه رجل حصيف الرأي، متعقل، ملابسه أنيقة، وصوته هادئ رزين، ووجهه معبر، خُيِّل إلى "**هركيول بوارو**" أنه عرف قبل ذلك أكثر من واحد من طراز السيد "**جيسموند**" وكان كل واحد منهم يستخدم نفس التعبير: (الموقف دقيق للغاية)، وقال "**بوارو**" :

– أنت تعلم أن رجال الشرطة يستطيعون أن يعالجوا الموقف. هزَّ السيد "**جيسموند**" رأسه بإصرار قائلاً:

– ليس رجال الشرطة.. لكي نستعيد هذه الـ.. لكي نستعيد ما نريد استعادته فيجب أن نتجنب القانون والمحاكم.. فالمعلومات التي لدينا محدودة، ولدينا بعض الشكوك ولكننا لا نستطيع أن نجزم بشيء.. وعاد "**بوارو**" يقول مراوغا:

– لك مني كل تعاطف وتقدير.. لو أن "**بوارو**" كان يعتقد أن ضيفيه يحتاجان منه إلى العطف لكان مطمئنا تماما، لقد كانا يلتمسان منه العون العملي، وعاد السيد "**جيسموند**" يحاول إغراءه من جديد بمباهج الاحتفال بعيد الميلاد في الريف الإنجليزي، فقال:

– هذه الاحتفالات على الطراز القديم ستنقرض.. الاحتفال بعيد الميلاد كما كان

يحتفل به منذ قرون... الناس يحتفلون به اليوم في الفنادق، ولكن تصور احتفالا في الريف الإنجليزي حيث يجتمع أفراد الأسرة.. الأطفال والجوارب الحافلة بالهدايا.. شجرة عيد الميلاد، والديوك الرومية، وفطيرة البرقوق والحلوى، وتمثال الرجل المصنوع من الثلج. وقاطعه "**بوارو**" قائلا:

– حتى تصنع تمثالا من الثلج لابد من وجود الثلج. ولا تستطيع أن تطلب الثلج حتى لو كان بمناسبة عيد الميلاد الإنجليزي.

– لقد كنت أتحدث إلى صديق في الأرصاد الجوية اليوم وأخبرني بأنه يوجد احتمال كبير لسقوط الجليد خلال عيد الميلاد هذا. لم تحدث تلك الكلمات الأثر المطلوب، بل على العكس أعرب "**بوارو**" عن امتعاضه قائلا:

– ثلج في الريف! هذا يزيد الأمور بشاعة.. قصر كبير عتيق مبني من الحجارة مع البرودة. وقال السيد "**جيسموند**" بسرعة:

– كلا بتاتا.. لقد تغيرت الأمور تماما خلال السنوات العشر الأخيرة.. ودخلت التدفئة بالبترول في الريف. وسأل "**بوارو**" باهتمام:

– هل توجد تدفئة مركزية في "**كنجزلاسي**"؟ انتهز السيد "**جيسموند**" الفرصة وقال:

– بكل تأكيد.. كما يوجد نظام محكم لتزويد القصر بالمياه الساخنة.. جميع حجرات النوم مزودة بالمياه الساخنة، أؤكد لك يا سيد "**بوارو**" أن قصر "**كنجزلاسي**" مزود بكل وسائل الراحة، بل لعلك سوف تجد المكان أدفأ مما تتصور. وقال "**بوارو**" متشككا:

– لا أعتقد ذلك.. غير السيد "**جيسموند**" الموضوع ببراعة قائلا:

– لا شك في أنك تقدر الورطة الشديدة التي نواجهها. هز "**بوارو**" رأسه مؤمّنا، لم تكن المشكلة – في الواقع – سهلة، فقد جاء الشاب إلى "**لندن**" منذ بضعة

أسابيع، وهو الابن الوحيد لحاكم إحدى الدول الغنية الصديقة.. وكانت بلاده تمر بفترة من القلاقل والاضطرابات ، وعلى الرغم من أن أهالي البلاد كانوا موالين للحاكم الذي ظل أسلوبه في الحكم شرقيا خالصا، إلا أن الرأي الشعبي العام كان مناهضا لأسلوب الجيل الجديد من الشبان. وكانت الحماقات التي يرتكبها الأمير الشاب مثار سخط الشعب، ورأى الأب في النهاية أن يعلن زواج ابنه الأمير بابنة عمه التي تلقت التعليم في "**كامبردج**"، إلا أنها ظلت تحافظ بصرامة على تقاليد البلاد الشرقية، وأساليب الحياة في بلادها، وتحدد موعد الزفاف ورئي أن يقوم الأمير الشاب برحلة إلى "**إنجلترا**"، حاملا معه جواهر الأسرة التي يرجع تاريخها إلى بضعة قرون مضت، حتى يعهد بتلك الجواهر إلى أحد بيوت الجواهر المتخصصة لإعادة تشكيل الأحجار الكريمة لتكون أكثر ملاءمة للعصر، ومن بين تلك الجواهر ياقوتة كبيرة الحجم يعهد بها إلى "**كارتييه**" الجوهري ، وكان من الطبيعي بالنسبة إلى أمير شاب يمتلك ثروة ضخمة ويقضي بعض الوقت خارج بلاده بعيدا عن أعين الرقباء أن يلهو ويستمتع بوقته، وكما جرت العادة بالنسبة إلى الأمراء الشبان، كان الأمير يقضي الوقت مع إحدى الفتيات، ثم يكافئها على المتعة التي تقدمها إليه بهدية تتمثل في سوار من الذهب، أو مشبك ألماس. وكان والد هذا الأمير نفسه يهدي الراقصة التي يعجب بها سيارة "كاديلاك". ولكن الأمر بالنسبة إلى هذا الأمير خرج عن الحدود المتعارف عليها وكان قليل الحذر، فقد أعجب بالشابة الحسناء التي أتاحت له المتعة وعرض عليها الياقوتة الثمينة في شكلها الجديد، واستجاب لرغبتها في أن يسمح لها بالتزين بالياقوتة لمدة ليلة واحدة.

كانت القصة قصيرة ومحزنة.. توجه الأمير والحسناء إلى أحد دور الملاهي حيث استأذنت برهة، لتصلح زينتها، وتسللت من باب جانبي إلى الخارج حاملة معها الياقوتة الثمينة واختفت. كانت تلك هي تفاصيل الحادث الذي كان يصعب

إذاعته على الرأي العام دون أن يؤدي ذلك إلى عواقب وخيمة. فلم تكن الجوهرة ياقوتة، وإنما كانت تمثل جزءا من تراث عريق لشعب له تاريخه. لقد كانت إحدى المقتنيات التاريخية لأسرة حاكمة تتوارث الثروات جيلا عن جيل، وتحرص على المحافظة عليها. ومن ثم فإن اكتشاف ضياع هذه الياقوتة كفيل بأن يؤدي إلى عواقب سياسية خطيرة. لم يكن السيد "**جيسموند**" من الأشخاص الذين يعرضون هذه الوقائع بأسلوب سهل، بل غلفها بإطار براق، وعرضها بأسلوب منمق، أما من يكون السيد "**جيسموند**" فلم يكن "**بوارو**" يعرف على وجه التحديد. قد يكون من رجال وزارة الخارجية، أو أحد أجهزة الرقابة بالدولة، أو من مكتب شؤون "**الكومنولث**"، وكانت رغبته شديدة في استعادة الياقوتة بأي ثمن، وأصر على أن السيد "**بوارو**" هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يقوم بهذه المهمة. وقال "**بوارو**":

– ربما كان باستطاعتي أن أفعل ذلك.. ولكن المعلومات التي قدمتها إليَّ محدودة.. افتراض.. شك.. وليست هذه بالأساس الصالح الذي يمكن الاعتماد عليه. وقال السيد "**جيسموند**" متملقا:

– كلا كلا يا سيد "**بوارو**".. مما لا شك فيه أنك قادر على تولي هذه المهمة بنجاح.. هيا هيا.

– إني لا أنجح في كل الحالات. ولم تكن تلك الملاحظة في واقع الأمر سوى سخرية يظهر بها "**بوارو**" تواضعه. فقد كان من الواضح أن "**بوارو**" عندما يقبل القيام بمهمة خاصة؛ فلأنه واثق بأنه سيؤديها بنجاح. وانتهز السيد "**جيسموند**" الفرصة المواتية، وقال:

– صاحب السمو لا يزال في مطلع الشباب.. وسوف يكون من المؤسف حقًا أن تدمر حياته كلها لمجرد أنه ارتكب حماقة من حماقات الشباب. نظر "**بوارو**" إلى

الأمير في عطف قائلا:

- الشباب هو الوقت المناسب لارتكاب الحماقات، وبالنسبة إلى الرجل العادي فإن الأمر لا يهم؛ لأن الأب الطيب، أو محامي الأسرة هو الذي يتحمل المتاعب، ويدفع الثمن.. ويتعلم الشاب، ويكتسب الخبرة وتنتهي الأمور على ما يرام، ولكن في موقف كموقفك هذا فإن الأمر يختلف تماما، وموعد زواجك الذي يقترب...
انطلق لسان الشاب للمرة الأولى مقاطعا "**بوارو**" بقوله:

- هذه هي القضية.. هذا هو الموقف حقًّا.. أنت ترى أن المشكلة دقيقة.. زوجتي جادة تماما وتنظر إلى الحياة نظرة جادة، وقد اكتسبت من دراستها في "**كامبردج**" عديدا من الأفكار الجديدة. فهي تقول إن البلاد تحتاج إلى نشر التعليم، وإنشاء المدارس، ووضع الأسس الديمقراطية ، وإن الأمور لن تجري على نفس المنوال الذي كان يسير عليه والدي.. وهي تعلم أنني سوف أستمتع بوقتي في "**لندن**" ولكن ليس إلى درجة الفضيحة .. كلا.. إنها الفضيحة التي تعنيني، ثم إن هذه الياقوتة الثمينة لها شهرتها وتاريخها، وهو تاريخ طويل عاصر الدم والموت. وقال "**بوارو**" بدهشة:

- الموت؟! نظر "**بوارو**" إلى السيد "**جيسموند**" وهو يقول مفكرا:

- آمل ألا تصل الأمور إلى هذا الحد. وقال السيد "**جيسموند**" :

- لا أظن أن الأمور سوف تقتضي ذلك. ورد عليه "**بوارو**" بقوله:

- لا تستطيع أن تحكم على ذلك.. قد يكون هنالك من يسعى إلى الياقوتة بالإضافة إلى الذين سرقوها، ومثل هؤلاء الأشخاص يحملون الأسلحة ولا شك.
وقال السيد "**جيسموند**" في قلق:

- لا أظن ذلك، وعلى أي حال نأمل ألا نضطر إلى الدخول في تجارب من هذا الطراز. وقال "**بوارو**" فجأة:

– أنا.. أنا أفترض كل الفروض مثل السياسيين. نظر إليه السيد "**جيسموند**" بشك، ثم قال بهدوء:

– حسن يا سيد "**بوارو**".. هل أستطيع أن أعتبر الموضوع منتهيا؟ هل قررت الموافقة على الذهاب إلى "**كنجزلاسي**"؟

– ولكن كيف أقدم نفسي هناك؟ ابتسم السيد "**جيسموند**" ابتسامة المنتصر، وقال:

– يمكن تدبير ذلك بسهولة.. وأؤكد لك أن ذهابك إلى "**كنجزلاسي**" سوف يبدو طبيعيا تماما، وسوف تجد أفراد الأسرة جذابين. إنهم قوم طيبون للغاية.

– هل أنت واثق بأنك لا تخدعني بالنسبة إلى التدفئة المركزية؟

– لا. لا بتاتا يا سيد "**بوارو**".. أؤكد أنك سوف تجد كل أسباب الراحة. وقال "**بوارو**" بصوت هامس كأنما يحدث نفسه:

– كل وسائل الراحة العصرية.. حسن جداً.. إنني أقبل القيام بالمهمة..

كانت درجة الحرارة تصل إلى 20 درجة مئوية في قاعة الاستقبال بقصر "**كنجزلاسي**"، وقالت السيدة العجوز وهي منهمكة في التطريز:

– أرجو أن تستمتع معنا يا سيد "**بوارو**" بالاحتفال بعيد الميلاد هنا.. إنه احتفال عائلي صرف.. معنا حفيدتي وحفيدي وصديق له، و"**بريدجيت**" حفيدة أختي الكبرى، و"**ديانا**" إحدى بنات العم، و"**ديفيد ويلوين**" وهو صديق قديم، إنه احتفال يضم الأسرة فقط.. ولكن "**إيدوينا موركومب**" أخبرتنا أن هذا هو ما تريد أن تراه.. احتفال بعيد الميلاد على الطريقة العتيقة، ولكنك لن تجد من هو أعتق منا! زوجي على ما تعلم يعيش في الماضي تماما، وهو يريد أن يبقى كل شيء في القصر على نفس الحالة التي كان عليها عندما كان صبيا في الثامنة عشرة من عمره. ابتسمت العجوز ابتسامة مشرقة، ثم تابعت حديثها قائلة:

– كل الأشياء القديمة.. شجرة عيد الميلاد، وجوارب اللعب للأطفال، واثنان من الديكة الرومية أحدهما مسلوق، والآخر محمر، وفطيرة البرقوق في داخلها خاتم الحظ، وزر الأعزب في داخل الحشو.. كنا نضع في الماضي قطعة عملة فضية من فئة البنسات الستة ولكن الفضة اليوم لم تعد نقية كما كانت فيما مضى.. ولكننا نقدم نفس ألوان الحلوى التي كانت تقدم في الماضي.

– إنك تسيلين لعابي يا سيدتي.

– أعتقد أننا سوف نعاني بعد الاحتفال سوء الهضم فلم نعد معتادين في هذه الأيام على أن نتناول كمية كبيرة من الأطعمة. توقفت السيدة "**لاسي**" عن الكلام عندما تسربت من النافذة أصوات مرتفعة، وضحكات مرحة، وأدارت العجوز رأسها ناحية النافذة، ثم قالت:

– لا أرى ماذا يفعلون في الخارج.. ربما كانوا يلعبون إحدى لعبهم.. كنت أخشى دائما ألا يشعر جيل الشباب بالارتياح لاحتفالنا بعيد الميلاد هنا.. ولكنني وجدتهم على العكس تمامًا سعداء للغاية.. أما ابني وابنتي فهما يفضلان الاحتفال بعيد الميلاد في أحد الفنادق.. ولكن الجيل الأكثر شبابا يجد في احتفالنا متعة طريفة.. أما الأطفال فهم يقبلون على الطعام بشغف؛ إذ يبدو أنه لا يقدم إليهم الطعام الكافي في المدارس. ضحك "**بوارو**" مسرورًا، وقال:

– لقد كان كرما كبيرا منك ومن زوجك يا سيدتي أن تضعاني بين قائمة أفراد الأسرة المدعوين لهذا الاحتفال.

– أؤكد لك أن ذلك كان من دواعي سرورنا، وأرجو ألا يضيق صدرك إذا وجدت "**هوراس**" جافا بعض الشيء فتلك هي طبيعته. وكان زوجها العميد "**لاسي**" قد عقب على مجيئه بقوله:

– لا أدري ما الذي جعله يرغب في مشاهدة احتفال عيد الميلاد على الأسلوب

القديم؟ لماذا لا يزورنا في مناسبة أخرى؟ لا نتحمل الأجانب.. حسن.. حسن.. لقد كانت تلك رغبة "**إيدوينا موركومب**". ولكن ماعلاقتها به؟ لماذا لم تدعه لاحتفالها؟

تأمل "**بوارو**" السيدة "**لاسي**" بنظرات فاحصة، كانت العجوز تقترب من السبعين، وكانت منتصبة القامة في حيوية، وذات شعر أبيض ناصع كالثلج، وعينين زرقاوين، وأنف دقيق، وذقن مستقيم، وقالت السيدة "**لاسي**":

– لقد بررت "**إيدوينا موركومب**" دعوتك بأنك تستطيع أن تساعدنا في مشكلتنا الصغيرة، وأن لديك بعض المعلومات عن ذلك الشاب "**ديزموند لي وورتلي**"، وقال "**بوارو**":

– أرجو أن أتمكن من تقديم أي مساعدة ممكنة يا سيدتي، وبهذه المناسبة أعتقد أن "**ديزموند**" لا يتمتع بسمعة طيبة.. وأجابت العجوز في تردد:

– إنه لا يتمتع بسمعة طيبة على ما سمعت.. ولكن ما جدوى ذلك إذا كانت "**سارا**" معجبة به؟ لن يغير وجهة نظر الفتاة أن تقول لها إن سمعة الشاب سيئة بل على العكس لعل ذلك يزيدها تمسكا به.

– إنك محقة في هذا الرأي تماما يا سيدتي.. أرجوك يا سيدتي أن تحددي حجم المشكلة بتفاصيلها.

– لقي ابني مصرعه في الحرب. وماتت زوجة ابني في الوقت الذي ولدت فيه "**سارا**"، ولهذا فقد كانت تعيش معنا بصفة مستديمة وكنا مسؤولين عن تربيتها.. ربما كانت أفكارنا بالنسبة إلى تربيتها غير حكيمة. لا أدري.. ولكن وجهة نظرنا كانت دائما أن نتيح لها أكبر قدر ممكن من الحرية. وقال "**بوارو**" مؤمّنا:

– هذه الطريقة المثلى على ما أعتقد.. فليس من الحكمة أن يقف الإنسان

– كل الأشياء القديمة.. شجرة عيد الميلاد، وجوارب اللعب للأطفال، واثنان من الديكة الرومية أحدهما مسلوق، والآخر محمر، وفطيرة البرقوق في داخلها خاتم الحظ، وزر الأعزب في داخل الحشو.. كنا نضع في الماضي قطعة عملة فضية من فئة البنسات الستة ولكن الفضة اليوم لم تعد نقية كما كانت فيما مضى.. ولكننا نقدم نفس ألوان الحلوى التي كانت تقدم في الماضي.

– إنك تسيلين لعابي يا سيدتي.

– أعتقد أننا سوف نعاني بعد الاحتفال سوء الهضم فلم نعد معتادين في هذه الأيام على أن نتناول كمية كبيرة من الأطعمة. توقفت السيدة "**لاسي**" عن الكلام عندما تسربت من النافذة أصوات مرتفعة، وضحكات مرحة، وأدارت العجوز رأسها ناحية النافذة، ثم قالت:

– لا أرى ماذا يفعلون في الخارج.. ربما كانوا يلعبون إحدى لعبهم.. كنت أخشى دائما ألا يشعر جيل الشباب بالارتياح لاحتفالنا بعيد الميلاد هنا.. ولكنني وجدتهم على العكس تمامًا سعداء للغاية.. أما ابني وابنتي فهما يفضلان الاحتفال بعيد الميلاد في أحد الفنادق.. ولكن الجيل الأكثر شبابا يجد في احتفالنا متعة طريفة.. أما الأطفال فهم يقبلون على الطعام بشغف؛ إذ يبدو أنه لا يقدم إليهم الطعام الكافي في المدارس. ضحك "**بوارو**" مسرورًا، وقال:

– لقد كان كرما كبيرا منك ومن زوجك يا سيدتي أن تضعاني بين قائمة أفراد الأسرة المدعوين لهذا الاحتفال.

– أؤكد لك أن ذلك كان من دواعي سرورنا، وأرجو ألا يضيق صدرك إذا وجدت "**هوراس**" جافا بعض الشيء فتلك هي طبيعته. وكان زوجها العميد "**لاسي**" قد عقب على مجيئه بقوله:

– لا أدري ما الذي جعله يرغب في مشاهدة احتفال عيد الميلاد على الأسلوب

– كان هذا من تدبيري.. أما "**هوراس**" فقد كان من رأيه أن يحرم عليها رؤيته تماما، ولكنني اقترحت عليه أن ندعو الشاب مع أفراد الأسرة بمناسبة الاحتفال بعيد الميلاد ووصفني زوجي بالجنون، ولكنني طلبت منه أن نجرب، فعندما ترى "**سارا**" الشاب معنا وسط العائلة وترانا مهذبين معه فربما تكتشف أنه أقل جاذبية مما يخيل إليها بعيدا عن هذا المكان.

– أعتقد يا سيدتي أن فكرتك أكثر حكمة من أفكار زوجك. قالت العجوز متشككة:

– أرجو أن يكون الأمر كذلك... لم تسفر الفكرة عن شيء بعد، ولكن "**ديزموند**" وصل منذ يومين فحسب. وسكتت العجوز برهة، ثم قالت فجأة:

–سوف أصارحك بأمر يا سيد "**بوارو**".. أنا نفسي لا أملك سوى الإعجاب بالشاب.. إني أكاد أحس بما تلمسه فيه "**سارا**" من سحر.. فللشاب بعض المزايا الواضحة.. لقد استأذننا في أن يحضر معه أخته التي أجريت لها عملية وغادرت المستشفى منذ أيام؛ لكيلا تشعر بالوحدة في أثناء غيابه.. وأكد لنا أنه سوف يكون مسؤولا عن خدمتها بحيث يحمل لها الطعام بنفسه؛ حتى لا يكلف أحدا عناء رعايتها، وأعتقد أن تلك كانت لفتة كريمة منه.. ألا توافقني على هذا الرأي يا سيد "**بوارو**"؟ وقال "**بوارو**" بعد لحظة تفكير:

– إن هذا التصرف يشير إلى احترام الواجب ولا يدل على امتياز في السلوك.

– لا أدري في الواقع.. كيف يستطيع الإنسان أن يحافظ على القيام بواجب رعاية أفراد الأسرة، ويستمتع في نفس الوقت باستغلال فتاة ثرية مثل "**سارا**".. وربما لا تعلم أن "**سارا**" سوف تكون على ثراء واسع، ليس بالنسبة إلى ما سترثه عنا، وإنما عندما تبلغ الحادية والعشرين من عمرها بعد عام وتحصل على الثروة الطائلة التي كانت ملكا لأمها.. على أي حال أعتقد أن "**ديزموند**" كان لطيفا

عندما فكر في أخته ولم يحاول أن يخفي أي شيء عن عملها.. لقد اعترف بأنها مجرد كاتبة على الآلة الكاتبة وتقوم بأعمال السكرتارية في "**لندن**".. ولقد كان "**ديزموند**" عند وعده وتحمل مسؤولية رعاية أخته.. لا أنكر له هذه المزايا، ولكنني في نفس الوقت لست مرتاحة لزواجه بـ"**سارا**". وقال "**بوارو**":

– من كل ما عرفته وسمعته أستطيع أن أقرر في النهاية أن مثل هذا الزواج سوف يؤدي إلى كارثة. وقالت السيدة "**لاسي**" برجاء:

– هل تعتقد أن في استطاعتك مساعدتنا على أي وجه من الوجوه؟

– أعتقد ذلك، ولكنني لا أحب أن أرتبط بوعد معين. فالسيد "**ديزموند**" على درجة عالية من الذكاء، ولكن لا تيأسي يا سيدتي. فسوف أبذل أقصى ما في طاقتي ردا للجميل بدعوتي إلى هذا الاحتفال الذي قلما يتاح لإنسان في الوقت الحاضر.

– هل تعرف يا سيد "**بوارو**" ما هو الحلم الذي يراودني في الواقع؟ أن يكون لي مجرد بيت صغير عصري يقام في الحديقة.. بيت مزود بمطبخ حديث وليست فيه هذه الردهات والممرات الطويلة.. حيث يكون كل شيء رقيقا وسهلا.

– هذه فكرة عملية يا سيدتي.

– ولكن زوجي مولع بالقصر القديم وهو يقيم فيه بصفة دائمة، ويكره أي تغيير في نظام الحياة.

– وأنت بهذا تضحين من أجل احترام رغباته؟ وقالت السيدة "**لاسي**" بكبرياء:

– إني لا أعتبر ذلك تضحية يا سيد "**بوارو**". لقد تزوجت زوجي ولديَّ الرغبة في توفير السعادة له.. ولقد كان زوجا طيبا ووفر لي السعادة طوال السنين الماضية، وأحب أن أسعده.

– إذن فسوف تستمرين في الحياة هنا؟

– ليس القصر متعبا على أي حال.

– إنه مريح في الواقع.. فلديكم تدفئة مركزية وحمام رائع.

– لقد أنفقنا الشيء الكثير؛ لنوفر للقصر وسائل الحياة العصرية واضطررنا إلى بيع بعض الأراضي؛ لنجري هذه التحسينات.

– ولكن ماذا بشأن الخدمة؟

– الخدمة لا تمثل مشكلة صعبة في الواقع .. ونحن لا نتوقع بالتأكيد أن تكون الخدمة على نفس المستوى الذي تعودناه في الأيام الماضية.. يجيء إلينا أفراد مختلفون من القرية.. تأتي سيدتان في الصباح، واثنتان أخريان للطهي والغسيل، وأفراد آخرون في المساء للقيام بالخدمة. ويعرض علينا كثيرون خدماتهم لبضع ساعات في اليوم.. أما بالنسبة إلى عيد الميلاد فنحن محظوظون.. تأتي السيدة "**روس**" كل عام في عيد الميلاد وهي طاهية ممتازة وقد تقاعدت منذ عشر سنوات ولكنها تحضر في الطوارئ، ثم هناك العزيز "**بيفريل**".

– أهو الخادم؟

– نعم.. إنه يحصل على معاش ويقيم قريبا من القصر ولكنه مولع بنا، ويصر على المجيء للمشاركة في خدمات الاحتفال بعيد الميلاد.. إنني شديدة القلق عليه يا سيد "**بوارو**"؛ لأنه طاعن في السن ويرتعد وأخشى أن يسقط عندما يحمل أي شيء، فضلا عن أن قلبه ليس سليما ولكننا نخشى أن نجرح إحساسه، ولو فعلنا ذلك فربما حكمنا عليه بالموت.. إنه صديق مخلص حقًا .. ولعلك ترى أننا قد أعددنا أنفسنا لاستقبال عيد ميلاد سعيد ونقي أيضا.. وأردفت العجوز تقول بعد فترة قصيرة من الصمت قضتها في التطلع عبر النافذة:

– ألا ترى أن الثلج بدأ يتساقط.. آه! هؤلاء هم الأطفال قادمون.. سوف يسعدك كثيرا أن تلتقي بهم يا سيد "**بوارو**". ثم تقدم "**بوارو**" بحفاوة بالغة، أولا

لـ"**كولين**" و"**مايكل**" .. الحفيد وصديقه في المدرسة، وهما صبيان في الخامسة عشرة، ثم إلى ابنة العم "**بريدجيت**" وهي فتاة في نفس السن ذات شعر أسود فاحم، وقالت السيدة "**لاسي**" :

– وهذه هي حفيدتي "**سارا**" .. كان اهتمام "**بوارو**" بـ"**سارا**" واضحا، فقد كانت فتاة جذابة، ذات شعر أحمر وبدت لـ"**بوارو**" ذات طبيعة تحب التحدي، ومع هذا فقد كانت تظهر مودة حقيقية لجدتها، وقالت السيدة "**لاسي**" :

– وهذا هو السيد "**لي وورتلي**" . كان السيد "**لي**" يرتدي سترة بحار، وبنطلونًا من الصوف الأسود، وشعره طويل وربما لم يحلق ذقنه في ذلك الصباح، وعلى العكس منه كان "**ديفيد ويلوين**" الذي كان يبدو رزينا هادئا، وعلى وجهه ابتسامة رقيقة، وكان مع المجموعة فتاة أخرى قدمت له باسم "**ديانا ميدلتون**" . تم تقديم الشاي مع بعض الشطائر، في الوقت الذي دخل فيه العميد "**لاسي**" ، وناولته زوجته قدحا من الشاي وتناول بنفسه بعض الشطائر وكان منظره أقرب إلى المزارع منه إلى رب البيت. تفرق الجميع بعد تناول الشاي وقرر الأولاد ومعهم "**بريدجيت**" أن يذهبوا إلى البحيرة؛ ليروا ما إذا كان سطحها تجمد وأصبح يصلح للتزحلق، وقالت "**ديانا ميدلتون**" :

– تعال يا "**ديفيد**" لنتنزه قليلا. تردد "**ديفيد**" برهة وهو ينظر إلى شعر "**سارا**" الأحمر، وكانت "**سارا**" تقف بجوار "**ديزموند لي وورتلي**" وتضع يدها على ذراعه متطلعة إلى وجهه، وقال "**ديفيد ويلوين**" :

– حسن .. هيا بنا. عقدت "**ديانا**" ذراعها في ذراع "**ديفيد**" وخرجا، بينما قالت "**سارا**" :

– ألن نخرج أيضا يا "**ديزموند**" ؟ وقال "**ديزموند**" :

– من قال إننا نريد المشي؟ سوف أخرج سيارتي؛ لنذهب إلى "**سبيفلد بور**"

حيث نتناول بعض الشراب. ترددت "**سارا**" برهة قبل أن تقول:

– من الأفضل أن نذهب إلى "**ماركيت ليدبوري**" أو "**دايت هارت**" حيث الجو أكثر مرحا.. وعلى الرغم من أن "**سارا**" كانت تستطيع أن تقول رأيها لـ"**ديزموند**" بصراحة وتخبره أبنها لا تريد الذهاب معه إلى المشرب؛ لأن ذلك مخالف لتقاليد "**كنجزلاسي**"، إلا أنها راعت المحافظة على شعوره. وعندما انطلق بوق السيارة قالت العجوز لـ"**سارا**":

– اذهبي واستمتعي بوقتك يا عزيزتي. وتذكرت السيدة "**لاسي**" أنها نسيت الضيف الأجنبي وذهبت تبحث عنه في المكتبة، ورأت السيد "**بوارو**" جالسا على المقعد في راحة مغمض العينين فابتسمت راضية، وتوجهت إلى المطبخ لتتحدث إلى السيدة "**روس**".. وقال "**ديزموند**" لـ"**سارا**" في قلق:

– ما الحكمة في دعوة ذلك الرجل الأجنبي ؟ أليس مخبرا خاصا ؟ هل يوجد ما يستوجب وجوده ؟ وقالت "**سارا**":

– أوه .. إنه لم يأت هنا بسبب العمل .. لقد أوصت "**إيدوينا موركومب**" أمي الروحية بدعوته، وأعتقد أنه تقاعد منذ سنوات عديدة. وقال "**ديزموند**" في ضيق:

– إنه يبدو كحصان عربة قديمة ..

– أراد أن يشاهد احتفال عيد الميلاد على الطريقة الإنجليزية القديمة على ما أعتقد. وضحك "**ديزموند**" ساخرا وهو يقول:

– يا له من احتفال سخيف .. لا أدري كيف تطيقين ذلك. وقالت "**سارا**" متحدية:

– إنني أستمتع به.

– لا يمكن يا فتاتي .. لماذا لا نضع حدا لهذه المهزلة ونسافر غدا إلى "**سكابورو**"

أو إلى أي مكان آخر ؟

– لا أستطيع أن أفعل ذلك .

– لماذا ؟

– إن هذا يجرح مشاعرهم .

– أوه ! ولكنك لا تستمتعين بهذا الاحتفال الصبياني .

– ربما لم أكن أستمتع به ولكن . .

توقفت "**سارا**" عن الاسترسال في الحديث عندما خامرها شعور بالذنب وهي تدرك أنها تميل إلى ذلك الاحتفال وتستمتع بوقتها بين أفراد الأسرة ، ولكنها شعرت بالخجل وعدم القدرة على مصارحة "**ديزموند**" برأيها ، وتمنت في تلك اللحظة لو أن "**ديزموند**" لم يأت ، فلم تكن صحبته في الريف ممتعة مثل صحبته في "**لندن**" .

كان الأولاد في نفس الوقت عائدين من رحلتهم إلى البحيرة مع "**بريدجيت**" وهم يتناقشون في فكرة التزحلق وقال "**كولين**" :

– سوف يستمر سقوط الجليد طوال الليل . . أراهنكم على أن سُمك الجليد سوف يصل صباح عيد الميلاد إلى بضعة سنتيمترات . وقال "**مايكل**" :

– دعونا نصنع تمثال رجل من الثلج . وقال "**كولين**" بانفعال :

– يا إلهي ! لم تتح لي فرصة عمل تمثال من الثلج منذ كنت في الرابعة من عمري. وقالت "**بريدجيت**" :

– نستطيع أن نصنع تمثالا للسيد "**بوارو**" ونضع له شاربا كثيفا . . وقال "**مايكل**" وهو يفكر بعمق :

– إنني لا أتصور أبدا كيف كان السيد "**بوارو**" يعمل مخبرا . . لا أراه قادرا على أن يتنكر ويتقمص شخصية أخرى . وقالت "**بريدجيت**" ضاحكة :

– لا يستطيع الإنسان أن يتخيله وهو يجري هنا وهناك حاملاالميكروسكوب باحثا عن الأدلة أو وهو يقيس آثار الأقدام . وقال "**كولين**" :

– لديَّ فكرة .. ما رأيكم في أن نعد له تمثيلية ؟

– حسن .. ندبر له جريمة قتل مثلا . وصاحت "**بريدجيت**" مهللة :

– يا لها من فكرة رائعة .. هل تقصد جثة في الثلج أو شيئًا من هذا القبيل؟

– نعم .. سوف يجعله ذلك يحس بوجوده حيث ينتمي .. أليس كذلك ؟

ضحكت "**بريدجيت**" ، وقال "**كولين**" :

– لو كثر سقوط الثلج فإن المسرح سوف يكون معدا للتمثيلية خير إعداد .. جثة وآثار أقدام .. يجب أن نفكر في تلك الأمور بعناية ثم نلقي قريبا من المكان بخنجر من مقتنيات جدي ثم نضع بعض نقط من الدم. اتفق الصبية على إعداد السائل الأحمر ثم سأل "**مايكل**" :

– من الذي سيمثل دور القتيل ؟

أصرت "**بريدجيت**" على أن تمثل الدور؛ لأن شعرها فاحم وسوف يكون المنظر مثيرا عندما ترقد فوق الثلج الناصع البياض ، وترتدي البيجاما الحمراء ، وعندما تم الاتفاق على الفكرة سألت "**بريدجيت**" :

– ولكن هل سوف يبدو الأمر مقنعا للسيد "**بوارو**" ؟ وأجاب "**مايكل**" قائلا:

– سوف نسير على الثلج رائحين غادين بالقرب من مكان الجثة لنترك آثار الأقدام بحيث يبدو الأمر مقنعا ، ونرجو أن يقبل المخبر التمثيلية على أنها مزاح بمناسبة احتفال عيد الميلاد . وأسرع الأطفال إلى داخل القصر ليعدوا العدة لتنفيذ فكرتهم.

كان الليل حافلا بالنشاط ، فقد وصلت إلى القصر مجموعة كبيرة من أشجار عيد الميلاد والزينات ، وانشغل الجميع بالمعاونة في تزيين شجرة عيد الميلاد الكبيرة

التي وضعت في ركن غرفة المائدة ، ونظر "**ديزموند**" إلى الشجرة متأففا وهو يقول لـ"**سارا**" إنه يتعجب للتمسك بتلك التقاليد المبتذلة. وعندما حانت ساعة النوم كانت السيدة "**لاسي**" مشغولة بملء الجوارب باللعب ، وسألها "**بوارو**" عما إذا كان يستطيع أن يقدم إليها يد العون، فقالت:

– شكرا لك .. لقد كبر الأطفال ولكنهم يجدون متعة في الحصول على الهدايا الصغيرة .

وعندما صعد "**بوارو**" إلى السرير في حجرة النوم التي خصصت له شاهد رسالة على السرير مكتوبة بحروف كبيرة ، وتقول الرسالة :

(لا تأكل من فطيرة البرقوق ..)

(الإمضاء : شخص يتمنى لك السلامة .)

حملق "**بوارو**" في الورقة بدهشة وهو يهمس لنفسه :

– يا لها من مفاجأة غير متوقعة .

بدأ غداء عيد الميلاد في الساعة الثانية ، وكان وليمة حافلة بحق ، وتم تقديم الحساء وأطباق الأطعمة الشهية والديكة الرومية حتى حانت اللحظة المرتقبة لتقديم فطيرة البرقوق ، وأصر "**بيفريل**" كعادته على أن يحمل الطبق الكبير بنفسه ونظرت إليه السيدة "**لاسي**" بإشفاق وهو يسير بكبرياء مرفوع الرأس مترنحا ، ونجح أخيرا في الوصول إلى مكان ربة البيت حيث وضع الفطيرة التي يتصاعد منها الدخان ، وطلبت السيدة "**لاسي**" من الجميع أن يقدموا أطباقهم ليحصل كل منهم على قطعة من الفطيرة ، وكانت "**بريدجيت**" تجلس بجوار "**بوارو**" وطلبت منه أن يهمس لقطعته بالأمنية التي يتمناها قبل أن ينقطع الدخان ، ونظر "**بوارو**" إلى القطعة الموضوعة أمامه باشتهاء وتذكر التحذير الذي تلقاه، ونظر حوله فرأى الجميع يتناولون الفطيرة وهمس لنفسه : « أنا لا أحب أن يسخر مني أحد .. لماذا

تكون قطعتي خطيرة من دون القطع الأخرى ؟ » وأعد الملعقة والشوكة وقطع نتفة صغيرة وضعها في فمه ، وقطع قطعة أخرى وشعر بشيء صلب في فمه ، وأخرجه ببطء وصاحت "**بريدجيت**" :

– إنه زر الأعزب يا سيد "**بوارو**" .. سوف تعيش أعزب طوال العمر . وقال "**بوارو**" بشرود :

– لقد عشت هذه السنوات الطوال دون زواج .. ولا أظن أنني سوف أغير نمط حياتي . وقال "**مايكل**" :

– لقد قرأت في الصحيفة أن رجلا في الخامسة والتسعين من عمره تزوج فتاة في الثانية والعشرين . وصاح العميد "**لاسي**" فجأة قائلا لزوجته :

– لماذا سمحت لتلك الطاهية أن تضع قطع الزجاج في الفطيرة ؟ وأسقط العميد قطعة الزجاج في الكوب ثم رفعها وهو يقول بدهشة :

– فليغفر الله لي .. إنها قطعة من الحجر الأحمر منزوعة من بروش ..

طلب منه "**بوارو**" أن يسمح له بفحص قطعة الزجاج ، وأخذ يعرضها للضوء ويفحصها بعناية شديدة ، وسمع مقعد أحد الجالسين على المائدة يتزحزح من مكانه بعصبية ، وصاح "**مايكل**" بانفعال :

– يا إلهي ! لو أن هذه القطعة كانت جوهرة بحق ؟ وقالت "**بريدجيت**" :

– ربما كانت ياقوتة حقيقية .

– لا تكوني غبية يا "**بريدجيت**" .. إن ياقوتة في هذا الحجم تساوي آلافا عديدة من الجنيهات .. أليس كذلك يا سيد "**بوارو**" ؟ وقالت السيدة "**لاسي**" باضطراب :

– ولكن السؤال الذي يحيرني .. كيف وصلت تلك القطعة إلى الفطيرة ؟

– لقد عثرت في فطيرتي على شلن فضي .. وصاحت "**ديانا**" بدورها :

– أما أنا فقد عثرت على الخاتم ..

– هذا فأل طيب يا "**ديانا**" .. سوف تتزوجين قبل الجميع . وسأل " **ديفيد**" بصوت مرتفع :

– من الذي عثر على قطعة العملة الذهبية من فئة الشلنات العشرة .. لقد أكدت لي السيدة "**روس**" أنها وضعتها بنفسها في الفطيرة . وقال "**ديزموند لي وورتلي**" بنشوة :

– يبدو أنني صاحب الحظ السعيد . وصاح "**ديفيد**" بعد قليل :

– أنا أيضا عثرت على خاتم ..

انفجر الجميع ضاحكين وظل المرح يسود المكان ، ولم يفطن أحد إلى أن "**بوارو**" غسل قطعة الزجاج جيدا ودسها في جيبه ، وانسحب الكبار بعد تقديم الحلوى ليأخذوا قسطا من الراحة استعدادا لحضور الاحتفال بإضاءة شجرة عيد الميلاد ، ولكن "**بوارو**" ذهب إلى المطبخ ليرى السيدة "**روس**" حيث قال لها :

– أظن أنه من المسموح للضيوف في هذا المكان أن يلتقوا بالطاهية الممتازة؛ ليهنئوها على هذا الطعام الشهي الذي فرغوا على التو من الاستمتاع به ؟ وقالت السيدة "**روس**" بازدهاء :

– إنني سعيدة لأنك استمتعت بالطعام يا سيدي . وقال "**بوارو**" باسما :

– استمتعت به .. ليست هذه هي الكلمات اللائقة .. وتناول "**بوارو**" يد السيدة "**روس**" وقبلها قائلا :

– أنت عبقرية وفنانة يا سيدة "**روس**" ! عبقرية حقا ! لم أذق في حياتي مثل هذه الوجبة الشهية .. أما بالنسبة إلى فطيرة البرقوق فهي شيء آخر .. هل أعدت في القصر أم اشتريت جاهزة ؟ وقالت السيدة "**روس**" مفاخرة :

– إنها من صنع يدي يا سيدي .. هذا ما فعلته سنوات وسنوات منذ جئت إلى

هذا القصر .. من المفترض أن تصنع فطيرة عيد الميلاد قبل الموعد ببضعة أسابيع ، أما هذه الفطيرة فقد صنعت منذ ثلاثة أيام فقط .. في اليوم السابق لوصولك يا سيدي .. وقد حافظت على التقاليد المتبعة وسمحت لكل واحد من أفراد الأسرة والمدعوين بدخول المطبخ والمشاركة في تقليب العجينة في أثناء إعداد الفطيرة والهمس بأمنية .. وقال "**بوارو**" باهتمام :

– شيء مثير حقا .. إذن فقد دخل الجميع المطبخ واشتركوا في هذا العمل العظيم.

– نعم يا سيدي .. الشبان الصغار والآنسة "**بريدجيت**" والسيد القادم من "**لندن**" الذي يقيم هنا وأخته والسيد " **ديفيد**" والآنسة "**ديانا ميدلتون**" .. أستطيع أن أقول إن الجميع اشتركوا في إعداد الفطيرة .

– كم عدد فطائر البرقوق التي أعدت ؟ هل كانت تلك هي الفطيرة الوحيدة ؟

– كلا يا سيدي .. لقد صنعت أربع فطائر .. اثنتين كبيرتين واثنتين صغيرتين.. كان المفترض أن أقدم الفطيرة الكبيرة الأخرى في ليلة رأس السنة ، أما الفطيرتان الصغيرتان فمن المفترض أن تتركا للسيد والسيدة "**لاسي**" عندما يكونان وحدهما في القصر .. هز "**بوارو**" رأسه مؤمِّنا ، وأردفت السيدة "**روس**" تقول :

– على أي حال يا سيدي لقد قدمت لكم في الغداء الفطيرة الأخرى . فقطب "**بوارو**" جبينه وقال بدهشة :

– الفطيرة الأخرى ؟ كيف كان ذلك ؟

– حسن يا سيدي .. كانت فطيرة عيد الميلاد موضوعة في القالب فوق الرف، وطلبت من "**آني**" أن تحضرها ولكن وقع حادث مؤسف . فقد سقط القالب من الفتاة وتحطم وكان من الطبيعي أن أستبعد تلك الفطيرة وأستبدل بها الأخرى المعدة لاحتفال رأس السنة خشية أن تكون فيها بعض الشظايا .. وسأل "**بوارو**"

بهدوء :

– هل هذه هي المرة الأولى التي يجيء فيها السيد "**لي وورتلي**" وأخته لزيارة المكان؟

– نعم يا سيدي .. إنه سيد لطيف حقا ولكن .. ترددت الطاهية برهة ثم قالت في تحفظ :

– لكني أرى في علاقته بالآنسة "**سارا**" شيئا غريبا بالنسبة إلى تقاليدنا .. فالأساليب تختلف عن المألوف في "**لندن**" .. وأخته المسكينة يقال إن عملية أجريت لها قبل قدومها ولكنها تبدو في خير حال منذ وصولها .. والغريب أنها عندما جاءت إلى المطبخ لتشارك في إعداد الفطيرة كانت في صحة جيدة ثم ساءت صحتها بعد ذلك ولم تغادر حجرتها، يبدو أنها خرجت من المستشفى في وقت مبكر قبل الشفاء وعاودتها الآلام ..

شكر "**بوارو**" الطاهية مرة أخرى وأهداها ورقة مالية من فئة الجنيهات الخمسة، تمنعت السيدة "**روس**" واعتذرت عن قبولها ولكنها قبلتها في النهاية إزاء إصرار "**بوارو**" ..

انتهى يوم عيد الميلاد كما تنتهي جميع أيام أعياد الميلاد بإضاءة الشجرة وشرب الشاي مع تناول وجبة من العشاء البارد ، وانسحب كل من "**بوارو**" والسيد والسيدة "**لاسي**" ليناموا مبكرين ، وقالت السيدة "**لاسي**" لـ"**بوارو**" قبل انصرافه إلى حجرته :

– إنك تبدو شارد الفكر مهموما .. وقال "**بوارو**" :

– ربما كانت فطيرة البرقوق الإنجليزية هي السبب .

– لعلها كانت دسمة بعض الشيء .. إنها عادة تقليدية .. أتمنى لك نوما هادئا يا سيد "**بوارو**" ولا تحلم كثيرا بفطيرة عيد الميلاد .

ذهب "**بوارو**" إلى سريره بعد أن اتخذ بعض الاحتياطات اللازمة ، ولكنه لم ينم، وبعد ساعتين تحقق ما كان يفكر فيه ، فقد فتح الباب بهدوء شديد ، وأحس بشخص يدخل الحجرة ويتجه إلى منضدة الزينة ويفحص محفظة "**بوارو**" وأشياءه جيدا ، وكان "**بوارو**" قد قبل شاكرا قدح القهوة الذي قدمه إليه السيد "**ديزموند لي وورتلي**" ، ولكنه لم يتناوله وإن بدا للشاب أن المخبر تجرع السائل حتى آخر قطرة ، وابتسم "**بوارو**" في سرور وهو يفكر في "**ديفيد**" الذي تبادل معه قدح القهوة والذي يستغرق الآن في نوم هادئ عميق.. أحس "**بوارو**" بالشخص الذي تسلل إلى الحجرة وهو يذهب إلى الحمام ثم يخرج ليكرر البحث عن الشيء الذي جاء من أجله ، واقترب الشخص من السرير ودس يده تحت الوسادة ثم خرج في النهاية مستاء لفشله في مهمته، وابتسم "**بوارو**" ابتسامة عريضة وهو يهمس لنفسه: " آه .. لقد أحسست بخيبة الأمل ولكن ماذا كنت تنتظر ؟ هل كنت تتوقع أن تعثر على شيء يخفيه "**بوارو**"؟" .

تقلب "**بوارو**" على جنبه ثم استغرق مطمئنا في النوم ، وفوجئ في الصباح بطرقة على الباب ، وعندما أذن للطارق بالدخول رأى "**كولين**" في فتحة الباب ومن خلفه "**مايكل**" ، وقال "**كولين**" بانفعال :

– السيد "**بوارو**" .. السيد "**بوارو**" .

– نعم .. ما الذي حدث ؟ ظل "**كولين**" صامتا بعض الوقت وعلى وجهه علامات القلق والحيرة ثم قال باضطراب :

– أعتقد .. أنك تستطيع أن تساعدنا يا سيد "**بوارو**" . لقد وقع حادث فظيع .

– حادث فظيع ! ولكن ما هو ؟

– إنها "**بريدجيت**" . إنها راقدة على الثلج .. أ.. أعتقد.. أنها لا تتحرك أو تتكلم .. ربما كان من الأفضل أن ترى بنفسك . ربما تكون قد ماتت . قفز

"**بوارو**" من السرير قائلا :

– ماذا تقول ؟ الآنسة "**بريدجيت**" ماتت !

– أ . . أعتقد أن شخصا قتلها . . حولها بقع من الدم و . . من الأفضل أن تذهب لترى بنفسك !

– بكل تأكيد . . بكل تأكيد . . ارتدى "**بوارو**" معطفا فوق البيجاما وهو يسأل "**كولين**" :

– هل أيقظت أحدا ؟

– كلا . لم أخبر أحداً سواك . . جدي وجدتي لم يستيقظا بعد . . "**بريدجيت**" ترقد على الثلج في الجانب الآخر من القصر تحت نافذة المكتبة . .

– هيا بنا ، تقدمني إلى المكان . .

أدار "**كولين**" وجهه ليخفي الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه . وعندما وصلا إلى الحديقة كان الثلج قد توقف عن السقوط ، وأشار "**كولين**" إلى المكان الذي ترقد فيه الفتاة قائلا :

– هناك . . إنها هناك . .

كانت "**بريدجيت**" ترقد على الثلج وهي ترتدي البيجاما الحمراء وحول كتفيها وشاح أبيض ، وكان رأسها مختفيا تحت خصلات شعرها الأسود الفاحم بينما تختفي إحدى يديها تحت جسمها واليد الأخرى ممدودة وأصابعها مقبوضة ومن حولها بعض بقع الدم وليس بعيدا عنها خنجر كبير كان العميد "**لاسي**" يعرضه على ضيوفه في الليلة الماضية . وقال "**بوارو**" :

– يا إلهي . كأنه أحد المناظر التي تقدم على خشبة المسرح ! ندت عن "**مايكل**" صيحة خافتة وعندما التفت إليه "**بوارو**" قال :

– إني أعلم أن المنظر لا يبدو واقعيا بالفعل ، هل ترى آثار الأقدام ؟ أعتقد أنه من

المفترض ألا نلمس شيئا .. وقال "**بوارو**" بهدوء :

– آثار الأقـدام ؟ نعـم نعـم .. يجـب أن نـكون حـريصـين ولا نطمس هـذه الآثار .

وقال "**كولين**" :

– هذا ما فكرت فيه .. لهذا أخفيت الخبر عن الجميع حتى ترى بنفسك ياسيد "**بوارو**" .. فكرت في أنك تعرف ما يمكن أن يتبع في مثل هذه الحالة .

– على أي حـال يجـب أن نتـأكـد أولا من أنهـا على قـيـد الحـيـاة .. أليس كذلك؟ وقال "**مايكل**" مضطربا :

– أ .. بلى بالتأكيد .. ولكنك ترى .. أعني – أننا لم نقصد في الواقع . وقال "**بوارو**" بهدوء :

– آه .. لاشك في أنك قرأت الكثير من الروايات البوليسية .. من المهم جدا ألا يلمس إنسان الآثار الموجودة حول الجثة .. ولكننا لسنا متأكدين حتى هذه اللحظة مما إذا كانت هذه جثة بالفعل ! ورغم أن الحرص مطلوب إلا أن المشاعر الإنسانية يجب أن تجيء في المقـام الأول ، ويجب أن نفكر في الطبـيب قـبل أن نفكـر في استدعاء الشرطة . وقال "**كولين**" في قلق :

– آه بالتأكيد .. كل ما في الأمر أننا – أعني .. لقد فكرنا في إخطارك قبل كل شيء ..

– إذن فسوف تبقيان في مكانكما حتى أعاين المكان من الجانب الآخر لكيلا أطمس آثار الأقدام .. يا لها من آثار أقدام واضحة كل الوضوح .. آثار أقدام رجل وفتاة توجها معا إلى المكان الذي ترقد فيه الفتاة .. وتعود آثار أقدام الرجل في الاتجاه المضاد، ولكن آثار أقدام الفتاة تختفي .. وقال "**كولين**" وهو يحاول أن يكتم ضحكته :

– لابد أن تكون هذه آثار أقدام القاتل ! وقال "**بوارو**" بهدوء :

ـ تماما .. آثار أقدام القاتل .. الأمر واضح كل الوضوح ولن يصعب علينا التعرف على القاتل . ظهر في تلك اللحظة "**ديزموند لي وورتلي**" خارجا من القصر مع "**سارا**" ، وقال بطريقة مسرحية :

ـ ما الذي يحدث هنا ؟ لقد رأيتكم من نافذة حجرتي .. يا إلهي ! ما هذا ؟ إن الأمر يبدو كما لو أن .. قاطعه "**بوارو**" بقوله :

ـ تماما .. كما لو كان جريمة قتل ، أليس كذلك ؟

بينما شهقت "**سارا**" بارتياح ثم صوبت نظرات متشككة للصبيين قال "**ديزموند**" :

ـ هل تقصد أن أحدهم قتل الفتاة ؟ ما اسمها ؟ "**بريدجيت**" ! ولكن من الذي يفكر في قتل هذه الفتاة ؟ هذا أمر غير قابل للتصديق . وقال "**بوارو**" :

ـ هناك أشياء كثيرة غير قابلة للتصديق .. أرجوكم أن تلزموا أماكنكم جميعا .. دار "**بوارو**" دورة كاملة ثم انحنى فوق "**بريدجيت**" بينما كان "**كولين**" و"**مايكل**" يضحكان ضحكات مكتومة ، وسألتهما "**سارا**" :

ـ أي لعبة تلعبانها أيها الشقيان ؟ وهمس "**كولين**" وهو لا يزال يحاول أن يكتم ضحكه :

ـ كم هي رائعة "**بريدجيت**" .. أليست رائعة حقا ؟ إنها تبدو كالميتة تماما !

وقال "**مايكل**" بإعجاب :

ـ لم أر أحدا يمثل دور الإنسان الميت كـ"**بريدجيت**" .. وعندما وقف "**بوارو**" كانت على وجهه علامات القلق والانفعال وقال بحزن :

ـ هذا شيء فظيع ! كتم "**مايكل**" ضحكته وهو يسأل "**بوارو**" :

ـ ما الذي يجب علينا أن نفعله ؟ وقال "**بوارو**" بنفس اللهجة :

ـ ليس أمامنا سوى أن نخطر الشرطة .. هل يتصل أحدكم بالشرطة أم أقوم أنا

بهذه المهمة ؟ وقال "**كولين**" ضاحكا :

– أعتقد .. أعتقد .. ما رأيك يا "**مايكل**" ؟ وقال "**مايكل**" ضاحكا بدوره :

– نعم .. أعتقد أن الوقت قد حان للكشف عن اللعبة .. إنني آسف يا سيد "**بوارو**" .. لقد كانت مزحة صغيرة بمناسبة الاحتفال بعيد الميلاد .. فكرنا في أن نمثل لك جريمة قتل حتى تشعر بالمتعة . وقال "**بوارو**" :

– فكرتم في تمثيل جريمة قتل لتسليتي .. ولكن هذه .. هذه .. وقال "**كولين**" باسما :

– إنها مجرد مزحة .. والآن يا "**بريدجيت**" .. انهضي فقد انتهى الدور الذي قمت بتمثيله ببراعة .. لاشك في أنك كدت تتجمدين من البرد .. ولكن الجسد الراقد على الثلج لم يتحرك ، وقال "**بوارو**" :

– يبدو أنها لا تسمع نداءك .. تقول إنها مزحة .. هل أنت واثق بأنها مزحة؟ وقال "**كولين**" بقلق :

– أ .. نعم .. لم نقصد أن نلحق الأذى بأحد .

– ولكن لماذا لا تتحرك الآنسة "**بريدجيت**" ؟ وصاحت "**سارا**" بقلق :

– انهضي يا "**بريدجيت**" ولا ترقدي على الثلج بهذه الطريقة الحمقاء . وقال "**كولين**" مضطربا :

– نحن أ .. آسفون .. نعتذر لك يا سيد "**بوارو**" . وقال "**بوارو**" بلهجة غريبة :

– لست في حاجة إلى الاعتذار . وقال "**كولين**" بقلق :

– ماذا تعني ؟ "**بريدجيت**" ! "**بريدجيت**" لماذا لا تجيبين ؟ لماذا تستمرين في الرقاد على الثلج ؟ طلب "**بوارو**" من "**ديزموند لي**" أن يقترب منه ثم أمره أن يتحسس نبض الفتاة ، وانحنى "**ديزموند**" فوق الفتاة وأمسك ذراعها ثم حدق في وجه "**بوارو**" وهو يقول بارتياع :

– لا يوجد نبض ويدها متصلبة .. يا إلهي .. إنها ميتة ! هز "**بوارو**" رأسه مؤمنا وهو يقول بأسى :

– نعم .. إنها ميتة .. وقد أحال أحدهم الملهاة إلى مأساة !

– أحدهم .. من ؟

– هنالك آثار أقدام وهي مماثلة للآثار التي تركتها على الثلج الآن يا سيد "**ديزموند**" . اقترب "**ديزموند**" من "**بوارو**" وهو يقول محتجا :

– ماذا تقول .. هل توجه إليّ الاتهام ؟ أنا ؟ إنك مجنون ولا شك .. ولكن لماذا أقتل الفتاة ؟ لماذا ؟ إنني في دهشة .. انحنى "**بوارو**" على الجثة وأمسك بالذراع الممدودة وفتح قبضة اليد المضمومة لتبدو فيها ياقوتة كبيرة وقال :

– السبب هو هذه القطعة الكبيرة من الزجاج التي عثرنا عليها في فطيرة عيد الميلاد . انحنى "**ديزموند**" بسرعة واختطف الياقوتة وقال له "**بوارو**" :

– كان من واجبك ألا تلمس شيئا .. يجب أن يبقى كل شيء كما هو ..

– ولكنني لم ألمس الجثة .. هذا الشيء يجب أن نحافظ عليه لأنه دليل مهم .. الشيء الذي يجب أن نفعله الآن هو إخطار الشرطة . اتجه "**ديزموند**" مسرعا نحو القصر ، واقتربت "**سارا**" من "**بوارو**" لتقول له :

– إنني لا أفهم شيئا .. ما الذي كنت تعنيه بحديثك عن آثار الأقدام ؟

– انظري بنفسك يا آنسة ! نظرت "**سارا**" إلى آثار الأقدام ثم سألت بقلق :

– تعني أنها نفس آثار أقدام "**ديزموند**" .. ولكن هذا هراء ! غطى صوت محرك سيارة "**ديزموند**" على كلماتها وشاهد الجميع "**ديزموند لي وورتلي**" يقود السيارة بأقصى سرعة ، وجاءت "**ديانا ميدلتون**" من القصر تسأل :

– ما الذي حدث ؟ جاء "**ديزموند**" مندفعا يحاول استخدام التليفون ولكنه وجده معطلا وقال إن حادثا قد وقع ولابد من الاتصال بالشرطة .. لماذا

الشرطة؟ أومأ "**بوارو**" برأسه وصاحت "**ديانا**" بفزع :

– "**بريدجيت**" ؟ ولكن .. ألا يمكن أن تكون مجرد مزحة ؟ لقد سمعت .. سمعت شيئا من هذا القبيل في الليلة الماضية .. سمعتهم يتحدثون عن تمثيلية يسخرون بها منك يا سيد "**بوارو**" . هز "**بوارو**" رأسه وقال بهدوء :

– نعم .. كانت تلك هي الفكرة في البداية .. سوف تظل الجثة هنا حتى يحضر رجال الشرطة، ونذهب نحن إلى الداخل . وقال "**كولين**" معترضا :

– ولكننا لا نستطيع أن نترك "**بريدجيت**" وحدها هكذا . وقال له "**بوارو**" برقة :

– لن يفيدها وجودنا في شيء .. إنها مأساة ولكننا لا نستطيع أن نفعل شيئا الآن للآنسة "**بريدجيت**" .. فلندخل لنشرب بعض الشاي أو القهوة..

تبعه الجميع إلى الداخل في صمت ، وكان "**بيفريل**" على وشك أن يعلن عن موعد الشاي ، وعندما كانوا يشربون الشاي قال "**بوارو**" :

– أحب أن أقص عليكم قصة قصيرة .. لا أستطيع أن أذكر كل التفاصيل ولكنني سوف أروي لكم أهم ما في القصة .. جاء إلى هذه البلاد أمير شاب ومعه جوهرة مشهورة كان المفترض أن يقدمها للشابة التي سيتزوجها .. ولكنه تعرف على فتاة جميلة جدا استطاعت أن تستولي على الجوهرة وتختفي ، ولما كان الأمير لا يستطيع أن يلجأ إلى الشرطة خوفا من الفضيحة فقد طلب مني أن أساعده .. حسن .. لهذه الحسناء صديق يحصل على المال عن طريق التهديد وتهريب الجواهر المسروقة ، ويشتبه فيه رجال الشرطة ولكنهم لا يملكون ضده دليلا قويا ، لأن هذا الرجل حاد الذكاء .. وقد ترامى إلى علمي أن هذا الرجل وصديقته سوف يقضيان فترة عيد الميلاد هنا في "**كنجزلاسي**" ، وأنه سيقدمها على أنها أخته .. فقالت "**سارا**" معترضة :

- أوه.. كلا كلا .. ليس هنا ، لا يمكن أن يحدث ذلك معي . واستمر "**بوارو**" في حديثه قائلا :

- ولكن هذا ما حدث بالفعل .. وتحايلت بدوري على المجيء هنا .. والمفترض أن تلك السيدة كانت قد خرجت على التو من المستشفى وعندما وصلت إلى هنا كانت في صحة جيدة ، ولكنها سمعت عن وصول مخبر مشهور فكان أول ما فكرت فيه أن تخفي الجوهرة ، وأن تتصنع المرض لتلازم حجرتها حتى لا ألتقي بها خوفا من أن تكون معي صورة لها فأستطيع التعرف إليها . وسأل "**مايكل**" بفضول :

- ولكن الجوهرة ؟ قال "**بوارو**" مطمئنا :

أعتقد أن السيدة علمت بخبر وصولي وهي في المطبخ تشارك الجميع في إعداد الفطيرة ، ووضعت الياقوتة في عجينة الفطيرة التي سوف تقدم في ليلة عيد الميلاد على أساس أنها سوف تغادر المكان قبل ذلك وتكون لديها الفرصة لاستردادها ، ولكن لسوء حظها تحطم القالب الخاص بفطيرة عيد الميلاد واضطرت السيدة "**روس**" إلى أن تقدم الفطيرة الأخرى إنقاذا للموقف . وقال "**كولين**" باستغراب :

- هل تعني أن قطعة الزجاج التي عثر عليها جدي في فمه كانت الياقوتة الحقيقية ؟

- تماما .. ولك أن تتصور مدى اضطراب السيد "**ديزموند**" عندما رأى المنظر.. ما الذي حدث بعد ذلك ؟ دسست الياقوتة في جيبي ولكن شخصا على الأقل فطن إلى ذلك ، وقد جاء هذا الشخص إلى حجرتي بعد أن تأكد من استغراقي في النوم ليبحث عن الياقوتة ولكنه لم يعثر عليها .. لماذا ؟ قال "**مايكل**" بانفعال :

- لأنك أعطيت الياقوتة لـ"**بريدجيت**" ، أهذا ما تعنيه .. إذن فهذا هو السبب.. ولكن ما الذي حدث ؟ ابتسم "**بوارو**" مزهوا وهو يقول :

– فلنذهب الآن إلى المكتبة وننظر من النافذة .. هناك سوف أطلعكم على شيء يفسر الأمر كله . تبع الجميع المخبر إلى مسرح الجريمة .. وقال "**بوارو**" :

– انظروا مرة أخرى إلى مسرح الجريمة .. وأشار إلى النافذة وشهق الجميع، فلم يكن للجثة أي أثر على الثلج ، وقال "**كولين**" باضطراب :

– لا يمكن أن يكون ذلك مجرد حلم .. هل حمل أحدهم الجثة ؟ وقال "**بوارو**" وهو يغمز بعينه :

– آه ، هذه مشكلة جديدة ... مشكلة اختفاء الجثة .. وصاح "**مايكل**" بدهشة :

– يا إلهي .. لقد كنت تعرف اللعبة منذ البداية يا سيد "**بوارو**" . وقال "**بوارو**" باسما :

– هذا صحيح يا أطفالي .. وأعددت لكم بدوري مزحة صغيرة .. عرفت بمؤامرتكم ودبرت مؤامرة تقابلها .. وهاهي ذي الآنسة "**بريدجيت**" في أتم صحة.. أرجو ألا يكون رقادك في الثلج قد سبب لك بعض المتاعب .. لن أعفي نفسي من اللوم إذا أصبت بنزلة شعبية يا فتاتي ! كانت "**بريدجيت**" قد دخلت الحجرة في تلك اللحظة وعلى شفتيها ابتسامة عريضة وقالت :

– أرجو أن أكون قد قمت بدوري على الوجه الأكمل يا سيد "**بوارو**" .. وإن كانت يدي تؤلمني بسبب ذلك الحزام الضاغط للشرايين الذي جعلتني أضعه حول يدي .. وقال "بوارو" :

– لقد كنت ممتازة يا فتاتي .. أنت تعلمين كل شيء ولكن الآخرين ما زالوا في ضباب .. عندما عرفت بالمؤامرة طلبت من "**بريدجيت**" أن تمثل دورا لحسابي .. وطلبت منها أن تأخذ حذاء السيد "**ديزموند**" وتستخدمه في عمل آثار الأقدام . وقالت "**سارا**" بحدة :

ـ لماذا فعلت ذلك يا سيد "**بوارو**" ؟ ولماذا أرسلت "**ديزموند**" ليخطر الشرطة؟ لا شك في أنهم سيغضبون عندما يكتشفون أن الأمر كان مجرد مزحة. هز "**بوارو**" رأسه باسما وقال :

ـ لا أظن يا آنسة أن السيد "**لي وورتلي**" سوف يذهب إلى الشرطة؛ لأنه لا يحب أن يظهر في تحقيق يقوم به رجال الشرطة .. لقد فقد أعصابه تماما ، ولما واتته الفرصة للحصول على الياقوتة وجدها فرصة سانحة للهرب .. وأعتقد أنه الآن في طريقه إلى خارج البلاد .. أليس لديه طائرة خاصة يا آنسة ؟ وقالت "**سارا**" باندفاع :

ـ بلى .. لقد كنا نفكر في الهرب . توقفت "**سارا**" عن إتمام حديثها . وقال "**بوارو**" :

ـ كان يريدك أن تهربي بهذه الطريقة .. فهذه أفضل وسيلة لتهريب الجوهرة إلى خارج البلاد ، فعندما يهرب مع فتاة لن يفكر إنسان في أنه كان يهرب في نفس الوقت جوهرة ثمينة .. يا لها من فكرة ذكية .. وقالت "**سارا**" بحدة :

ـ أنا لا أصدق حرفا واحدا مما تقول :

ـ إذن اسألي أخته فسوف تزودك بالمعلومات الصحيحة . التفتت "**سارا**" إلى حيث كان يتطلع "**بوارو**" خلفها ورأت فتاة شقراء ، وقالت الشقراء :

ـ هذا المحتال ليس أخي .. لن يفلت بالياقوتة ويتركني أدفع الثمن .. لقد كانت الفكرة فكرته وأكد لي أن الأمير لن يجرؤ على إخطار الشرطة تجنبا للفضيحة .. وكان من المفترض أن نهرب إلى "**فرنسا**" أو "**بلجيكا**" لنبيع الجوهرة ونقتسم الثمن . إنني أتمنى أن أقتله عندما ألحق به .. ألا يستطيع أحد أن يدعو لي سيارة أجرة ؟ وقال "**بوارو**" :

ـ هناك سيارة تنتظرك أمام باب القصر . وقالت الشقراء :

– إنك تفكر في كل شيء يا سيد "**بوارو**" . وقال "**بوارو**" بهدوء :

– في أغلب الأشياء .. وعندما انسحبت الشقراء قال "**كولين**" باستياء :

– ولكنك سمحت للسيد "**ديزموند**" بالفرار ومعه الجوهرة . وقال "**بوارو**" بصوت خافت :

– سوف أستعيدها .. لدي أكثر من وسيلة لاستعادتها . ولكن "**بريدجيت**" قالت بانفعال :

– إنني واثقة بأن السيد "**بوارو**" يمثل علينا دورا جديدا . وضحك "**بوارو**" وطلب من "**بريدجيت**" أن تدس يدها في جيبه الأيسر ، ونفذت الفتاة التعليمات وصاحت بدهشة :

– يا إلهي .. إنها الياقوتة الحقيقية .. وقال "**بوارو**" :

– أما تلك التي حملها السيد "**ديزموند**" فليست أكثر من تقليد أتيت به من "**لندن**" لأستعين به عند الحاجة .. وسوف يكتشف "**ديزموند**" أن الياقوتة التي يحملها ليست أكثر من قطعة من الزجاج الملون .. وبهذا تعود الياقوتة إلى الأمير ويتجنب الفضيحة ويتزوج عروسه وتنتهي القصة نهاية سعيدة بالنسبة للجميع . وقالت "**سارا**" عابسة :

– فيما عداي ... قال لها "**بوارو**" :

– أنت مخطئة يا آنسة .. لقد اكتسبت الخبرة من التجربة .. وكل خبرة تكتسب لها قيمتها .. لا يزال المستقبل ممدودا أمامك وسوف تجدين السعادة في مستقبل الأيام . اقترب "**كولين**" من "**بوارو**" وقال بانفعال :

– يبقى أمر نريد أن نعرفه يا سيد "**بوارو**" .. هل خاننا واحد منا وأفشى لك سر المؤامرة ؟

– لا .. ليس هذا ما حدث .. أصرَّ الجميع على معرفة الطريقة التي اكتشف بها

"**بوارو**" المؤامرة. وقال "**بوارو**" باسما :

– هذا من أسرار المهنة .. وأخشى أن تجدوا الأمر أقل مما تتصورون فتصابوا بخيبة الأمل ..

– لابد أن نعرف .. لابد ..

– حسن . كنت جالسا في المكتبة بالقرب من النافذة في اليوم السابق بعد تناول الشاي وغفوت قليلا ، وعندما فتحت عيني سمعتكم تتناقشون تحت النافذة .. وكانت النافذة مفتوحة من أعلى .. وقال "**كولين**" باستياء :

– أهذا كل ما في الأمر ؟

– ألم أقل لكم إنكم ستصابون بخيبة أمل ؟ وقال "**مايكل**" :

– على أي حال فنحن نعرف الآن كل شيء . وقال "**بوارو**" بشرود وهو يغادر القاعة :

– أحقا ؟ أعترف أنا الذي تقتضي مهنته أن يعلم كل شيء بأنني ما زلت أجهل بعض الحقائق .. وأخرج "**بوارو**" ربما للمرة العشرين الورقة الصغيرة القذرة من جيبه ليقرأ عبارتها :

(لا تأكل من فطيرة البرقوق)

(الإمضاء : شخص يتمنى لك السلامة) .

ورأى نفسه فجأة أمام فتاة صغيرة ، منهمكة في تنظيف الأرض ، ورفعت الفتاة عينيها إليه قائلة :

– أوه .. معذرة يا سيدي ..

– ومن تكونين يا فتاتي الصغيرة ؟

– أنا "**آني**" .. أساعد السيدة "**روس**" .. أؤكد أنني لم أقصد سوءا ياسيدي ..

– إذن فأنت التي كتبت لي هذه الرسالة ؟

– أقسم لك أنني لم أقصد سوءا ..

– أنا أصدقك يا "**آني**" .. ولكن ما هي الأسباب التي دفعتك إلى كتابة هذه الرسالة ؟

قصَّت عليه الفتاة قصتها .. كانت تحس كغيرها من الخدم أن أخت السيد "**ديزموند لي**" ليست أخته . وتصادف أن كانت في الحمام الملحق بغرفة الحسناء الشقراء وسمعت حواراً يجري بينها وبين "**ديزموند**"، كان "**ديزموند**" شديد القلق عندما سمع بوصول المخبر وكان يتمنى أن يتخلص منه بأي وسيلة ، ثم سأل الشقراء :

– أين أخفيت القطعة ؟ وأجابته :

– في فطيرة البرقوق .. وهكذا خشيت الفتاة أن يكون "**ديزموند**" قد فكر أن يدس السم لـ"**بوارو**" في الفطيرة فكتبت إليه الرسالة تحذره من الفطيرة ، ونظر إليها "**بوارو**" باسما وهو يقول :

– لا شك في أنك تشاهدين كثيرا من الأفلام البوليسية يا صغيرتي .. أو لعلك متأثرة بما تشاهدينه في التليفزيون ولكن المهم في الموضوع أنك نقية القلب وعبقرية في نفس الوقت ، عندما أعود إلى "**لندن**" فسوف أرسل لك هدية .

– شكرا لك يا سيدي .. شكرا لك ..

– ما نوع الهدية التي ترغبين فيها يا "**آني**" ؟

– هل تقدم لي أي هدية أطلبها ؟ وقال "**بوارو**" بحذر :

– إذا كانت في حدود المعقول .

– أريد حقيبة للزينة .. كتلك التي تحملها الشقراء التي تزعم أنها أخت السيد "**لي وورتلي**" .. وقال "**بوارو**" باسما :

– حسن .. أعتقد أنني سوف أرسل لك ما تطلبين .. وقال "**بوارو**" كأنما

يهمس لنفسه :

- من الغريب أنني كنت في زيارة للمتحف منذ أيام ورأيت بين التحف التي ترجع إلى حضارة بابل منذ بضعة آلاف من السنين ، حقيبة للزينة .. يبدو أن قلوب النساء لا تتغير أبدا . وسألته الفتاة :

- ماذا تقول يا سيدي ؟ وقال "**بوارو**" بصوت خافت :

- لا شيء .. لا شيء يا صغيرتي .

- 4 -

الدليل المزدوج

- المهم أولا وقبل كل شيء ألا يتسرب الخبر إلى الصحافة .

قالها السيد "**ماركوس هاردمان**" ربما للمرة الرابعة عشرة في نفس الجلسة .. وكان السيد "**ماركوس**" رجلا نحيلا قصير القامة ، يداه دقيقتان وصوته ناعم رقيق، وكان الرجل مشهورا في عالم الأزياء كمصمم له صيته ومكانته ، وكان غنيا ولكن ليس إلى الدرجة التي تضعه في مصاف أصحاب الملايين ، وكان ينفق الجانب الكبير من ماله في الملذات وجذب انتباه المجتمع ، أما هوايته فهي جمع كل شيء قديم ثمين فريد من نوعه ، يجمع العاديات القديمة والمراوح العتيقة وقطع الجواهر النادرة . المهم أن تكون القطع التي تضمها مجموعته وحيدة ليس لها نظير..

وكنا قد ذهبنا إلى مسكنه أنا و "**بوارو**" بناء على دعوة عاجلة ، وعندما قابلنا كان قلقا ضيق الصدر ، وكانت فكرة الاتصال برجال الشرطة بالنسبة إليه أمرا غير مرغوب فيه على الإطلاق ، ولكن عدم إبلاغ الشرطة يعني في نفس الوقت ضياع

مجموعة من الأحجار الكريمة التي اقتناها على مدار السنين الطويلة ، ومن ثم كان اتصاله بـ"**بوارو**" على أساس أن المخبر العظيم قادر على أن يعينه في محنته ، وقال السيد "**هاردمان**" بانفعال شديد :

– اليواقيت النادرة يا سيد "**بوارو**" .. والعقد الزمردي .. هذا العقد الذي يقال إن "**كاترين دي مدسيس**" كانت تتزين به . أوه .. العقد الزمردي ! وقال له "**بوارو**" مواسيا :

– أرجو أن تهدئ من ثائرة أعصابك وتقص عليّ كيف اختفت الجواهر ..

– هذا ما أحاول أن أفعله .. كنت أقيم حفلا صغيرا في هذا المسكن بعد ظهر الأمس .. لم يكن عدد الضيوف يزيد على ستة أفراد .. وكنت قد أقمت قبل ذلك حفلا أو حفلين مماثلين خلال هذا الموسم ، وكانت الحفلات ناجحة تماما .. عزف فيها الموسيقار "**ناكورا**" وغنت "**كاثرين بيرد**" المغنية الأسترالية .. في قاعة الاستوديو الفسيحة .. حسن .. كنت أعرض على ضيوفي بعد ظهر الأمس مجموعة من الجواهر التي ترجع إلى القرون الوسطى وكنت أضع تلك الجواهر في خزانة صغيرة داخل الحائط ، والجواهر مصفوفة على رفوف داخل الخزانة أمام خلفية مدهونة بلون القطيفة حتى تضفي جمالا على المجموعة ، وبعد ذلك عرضت على الضيوف مجموعة المراوح الموضوعة على الحائط ، ثم توجهنا جميعا إلى الاستوديو لسماع الموسيقى ، ولم أفطن إلى اختفاء الجواهر إلا بعد انصراف الزوار ، كانت الخزانة مفتوحة ، وربما أكون قد سهوت عن إغلاقها بإحكام ، وانتهز أحدهم الفرصة واستولى على كل المجموعة التي تضمها من الجواهر .. اليواقيت يا سيد "**بوارو**" والعقد الزمردي .. المجموعة التي استغرق جمعها عمرا بأكمله ! إنني على استعداد لأن أدفع أي مبلغ في سبيل استعادتها ! ولكن يجب ألا يتسرب الخبر ويذاع ! لا

شك في أنك تقدر هذا الموقف جيدا يا سيد "**بوارو**" .. كان جميع الزوار من الأصدقاء المخلصين .. سوف تكون فضيحة كبرى لو شاع الخبر . قال "**بوارو**" :

– من كان آخر شخص من الضيوف يغادر هذه القاعة عندما توجهتم إلى الاستوديو ؟

– السيد "**جونسون**" .. ربما تكون قد سمعت عنه .. إنه مليونير قادم من "**جنوب إفريقيا**" وقد استأجر مؤخرا قصر "**أبورتبري**" في "**بارك لين**" .. تخلف السيد "**جونسون**" قليلا عن المجموعة .. إنني أذكر ذلك جيدا ولكنني واثق من أنه لا يمكن أن يكون السارق .

– هل عاد أحد من ضيوفك إلى هذه القاعة متذرعا بأي حجة من الحجج ؟

قال السيد "**هاردمان**" :

– لقد كنت أتوقع منك هذا السؤال يا سيد "**بوارو**" . لم يكن واحدا بل كانوا ثلاثة .. الأميرة "**فيرا روساكوف**" والسيد "**برنارد باركر**" والسيدة "**رانكورن**" .

– أرجو أن تروي لنا التفاصيل .

– الأميرة "**روساكوف**" سيدة روسية حسناء ، وهي تنتمي إلى طبقة النبلاء القدامى في عهد ما قبل الثورة الروسية ، وقد جاءت إلى هذه البلاد مؤخرا .. كانت قد حيتني استعدادا للانصراف ثم فوجئت بوجودها في هذه القاعة تنظر إلى مجموعة المراوح التي أقتنيها .. لعلك توافقني يا سيد "**بوارو**" أنني كلما فكرت في الأمر ازدادت شكوكي .. ألا تتفق معي في هذا الرأي ؟

– إنه موقف يدعو إلى الشك ولا ريب .. لكن أرجو أن تذكر التفاصيل بالنسبة إلى بقية الأشخاص .

– حسن .. جاء السيد "**باركر**" إلى هذه القاعة ليبحث عن صندوق يضم بعض التحف التي كنت حريصا على أن أعرضها على السيدة "**رانكورن**" .

– وماذا بشأن السيدة "**رانكورن**" نفسها ؟

– أستطيع أن أقول إن السيدة "**رانكورن**" سيدة في منتصف العمر ذات شخصية جذابة وخلق قويم .. وهي تكرس معظم وقتها للأعمال الخيرية .. وكان سبب عودتها إلى القاعة على حد قولها البحث عن حقيبة يدها التي نسيتها في القاعة . وقال "**بوارو**" بعد برهة :

– حسن يا سيدي .. أمامنا الآن أربعة أشخاص تحوم حولهم الشبهات .. الأميرة الروسية ، والسيدة الإنجليزية العظيمة ، والمليونير القادم من "**جنوب إفريقيا**" ثم السيد "**برنارد باركر**" .. ولكن من يكون السيد "**باركر**" ؟ فوجئ السيد "**هاردمان**" بالسؤال وبدت عليه الحيرة بعض الوقت ثم قال متلعثما :

– أ .. إنه .. شاب .. حسن .. إنه في الواقع شاب صغير . هذا كل ما في الأمر. وقال "**بوارو**" باكتئاب :

– لقد استنتجت من كلامك الشيء الكثير .. ما هي مهنة "**باركر**" هذا ؟

– إنه شاب يعمل في "**وول ستريت**" (حي المال) .. لا أستطيع أن أحدد عمله على وجه الدقة لكنه أقرب إلى السمسار ..

– وكيف انضم إلى قائمة أصدقائك ؟

– حسن .. لقد قام في عملية أو عمليتين بدور السمسار وحصل على عمولة مني عندما اشتريت بعض المقتنيات . سكت السيد "**هاردمان**" وقال "**بوارو**" :

– أرجوك أن تستمر يا سيدي . نظر إليه "**هاردمان**" بإشفاق ، فلم يكن يريد في الواقع أن يسترسل في مزيد من التفاصيل ، ولكنه اضطر إلى التسليم عندما استمر "**بوارو**" في صمته وقال :

– أنت ترى يا سيد "**بوارو**" .. من المعروف للجميع أنني من المهتمين بجمع الجواهر القديمة .. قد تفكر بعض الأسر العريقة في أن تتخلص من بعض الجواهر

التي تقتنيها للخلاص من أزمة مالية ولا تستطيع مثل هذه الأسر أن تعرض ما لديها علنا في السوق .. ولكن الأمر يختلف إذا كان المشتري شخصا مثلي.. وهنا يجيء دور "**باركر**" الذي يسوي الأمور بين الطرفين، وبهذا يجنب تلك الأسر الحرج الذي يمكن أن تتعرض له في حالة عرض المجموعة على بيت للجواهر. يحيطني "**باركر**" علما بوجود مثل هذه المجموعة . وعلى سبيل المثال أحضرت الأميرة "**روساكوف**" معها مجموعة جواهر عائلتها من "**روسيا**" ، وكانت متلهفة على بيعها ، وكان "**برنارد باركر**" هو الذي رتب إجراءات إتمام هذه الصفقة . وقال "**بوارو**" :

– إذن فأنت تثق بالسيد "**باركر**" ؟

– ليس لديَّ أسباب تدفعني إلى عدم الثقة به . وسأله "**بوارو**" :

– السيد "**هاردمان**" .. أي واحد من الأشخاص الأربعة تتركز فيه شكوكك؟

– يا له من سؤال محرج يا سيد "**بوارو**" .. إنهم أصدقائي كما قلت لك .. إنني أشك في بعضهم أو فيهم كلهم إن شئت .

– أنا لا أوافقك على هذا الرأي .. إنك تشتبه في واحد من هؤلاء الأربعة .. ليست الأميرة "**روساكوف**" .. كما أنه ليس السيد "**باركر**" .. فهي إما السيدة "**رانكورن**" أو السيد "**جونسون**" .

– لقد وضعتني في مأزق يا سيد "**بوارو**" .. إنني شديد اللهفة على ألا تحدث فضيحة .. السيدة "**رانكورن**" تنتمي إلى واحدة من أعرق الأسر الإنجليزية ، ولكن هناك لسوء الحظ حقيقة معروفة وهي أن عمتها السيدة "**كارولين**" مريضة بداء السرقة ، وقد تعودت خادمتها أن تعيد لأصدقاء السيدة ما تسرقه من ملاعق للشاي أو غير ذلك من الأشياء ..

– إذن فالسيدة "**رانكورن**" تمت بصلة القرابة لسيدة مصابة بمرض نفسيّ.. هذه حقيقة مهمة . هل تسمح لي الآن بمعاينة الخزانة ؟

عندما قادنا السيد "**هاردمان**" إلى الخزانة ورأينا الرفوف الخالية من الجواهر قال "**بوارو**" هامسا :

– لم يعد باب الخزانة منذ فتحه يغلق بإحكام .. إنني لأتساءل في دهشة : لماذا؟ آه .. ماذا يوجد في داخل الخزانة ؟ قفاز لا شك في أنه سقط من يد السارق وهو يدسها داخل الخزانة .. إنه قفاز رجل . عرض "**بوارو**" القفاز على السيد "**هاردمان**" الذي قال :

– ليس هذا قفازي . وصاح "**بوارو**" بانفعال :

– واهًا .. شيء آخر ! وأخرج "**بوارو**" من داخل الخزانة علبة سجائر فصاح "**هاردمان**" :

– علبة سجائري .. وقال "**بوارو**" :

– ليست علبتك بكل تأكيد يا سيدي .. الحروف الأولى المنقوشة عليها تشير إلى ذلك . أشار "**بوارو**" إلى الحرفين المنقوشين على العلبة ، وأمسكها السيد "**هاردمان**" ليفحصها ثم قال :

– الحق معك .. إنها تشبه علبتي تماما ولكن الحروف المنقوشة عليها مختلفة.. عليها الحرفان "ب" و "ب" .. يا إلهي إنها علبة "**باركر**" . وقال "**بوارو**" بهدوء :

– هكذا يبدو الأمر للوهلة الأولى .. يا له من شاب مهمل .. خاصة إذا اتضح أن القفاز هو قفازه أيضا فهذا يعني أن الدليل ضده مزودج . وتمتم السيد "**هاردمان**" بدهشة قائلا :

– "**برنارد باركر**" .. إن الأمور قد بدأت تتضح .. حسن يا سيد "**بوارو**" .. إنني أترك الأمر بين يديك لتستعيد لي الجواهر .. ولك أن تخطر رجال الشرطة إذا رأيت أن لديك الدليل القاطع على صحة الاتهام الموجه للجاني . وعندما غادرنا المنزل ، قال لي "**بوارو**" :

– هكذا ترى يا صديقي أن السيد "**هاردمان**" يطبق قانونين: الأول يطبق على أصحاب الألقاب والآخر يطبق على عامة الناس، ونظرا إلى أنني لم أحصل على لقب نبيل فإنني أقف في صف العامة ، وأشعر بالتعاطف مع ذلك الشاب ، لقد كانت المسألة كلها غريبة من البداية .. يشك السيد "**هاردمان**" في السيدة "**رانكورن**" ، بينما تتجه شكوكي إلى الأميرة و "**جونسون**" ، في حين أن السيد "**باركر**" الغامض هو الرجل الذي نبحث عنه .

– لماذا تتجه شكوكك نحو الشخصين الآخرين ؟

– يا إلهي ! من السهولة بمكان أن تدعي أنك روسي أو أنك مليونير قادم من "**جنوب إفريقيا** " ، فمن ذا الذي سيعارضك ؟ ولكنني ألاحظ أننا نمر الآن بشارع "**بيري**" وهي فرصة لمقابلة ذلك الشاب المهمل .. ولنحاول على حد تعبيرك يا"**هاستنجز**" أن نطرق الحديد وهو ساخن . كان السيد "**برنارد باركر**" موجودا في المنزل وكان راقدا فوق بعض الوسائد وبادره "**بوارو**" بقوله :

– صباح الخير يا سيدي .. إنني قادم من زيارة للسيد "**هاردمان**" .. لقد سرق أحد ضيوف الحفل بالأمس كل مجموعة الجواهر التي يمتلكها السيد "**هاردمان**" . اسمح لي أن أسألك : هل هذا القفاز ملك لك ؟ لم تكن عملية التفكير العقلي لدى السيد "**باركر**" سريعة؛ لأنه ظل يتأمل القفاز بعض الوقت قبل أن يجيب بقوله :

– أين عثرت عليه ؟

– هل هو قفازك يا سيدي ؟ استقر رأي السيد "**باركر**" أخيرا وقال :

– كلا ليس قفازي .

– وعلبة السجائر هذه ، أليست علبتك ؟

– بكل تأكيد لا يا سيدي ليست علبتي .. هذه العلبة من البلاتين وعلبتي

مصنوعة من الفضة .

– حسن جدا يا سيدي .. سوف أضع الأمر بين أيدي رجال الشرطة ليتولوا الأمر بأنفسهم وصاح السيد "**باركر**" منفعلا :

– لو أنني كنت في مكانك ما فعلت ذلك يا سيدي .. رجال الشرطة وحوش.. انتظر قليلا ، فسوف أذهب وأقابل السيد "**هاردمان**" .. انتظر لحظة واحدة يا سيدي . ولكن "**بوارو**" تركه . وانصرفنا لا نلوي على شيء ثم قال لي "**بوارو**" بعد خروجنا وهو يضحك في سرور :

– لقد أعطيناه شيئا ليفكر فيه ، أليس كذلك .. في الغد سوف نراقب ماذا تكون النتيجة .

ولكننا لم نكن في حاجة إلى الانتظار إلى الغد حتى نتذكر قضية "**هاردمان**" ، فقد فوجئنا دون سابق إنذار بالباب يفتح وتندفع منه الأميرة الروسية كالعاصفة المزمجرة . وقالت بحدة :

– هل أنت السيد "**بوارو**" ؟ ما هذا الذي فعلته ؟ إنك تتهم ذلك الفتى المسكين! إن هذا تشهير .. إنها فضيحة علنية .. إنني أعرف ذلك الفتى وأعرف أنه كالحمل الوديع .. لا يمكن أن يسرق أبدا .. لقد أدى إليَّ خدمة ومن ثم سوف أقف إلى جانبه ولن أسمح لأحد بأن يذبحه وأنا أقف موقف المتفرجة . وقال "**بوارو**" وهو يعرض عليها علبة السجائر :

– أجيبي عن سؤالي يا سيدتي .. هل هذه علبة سجائره ؟ سكتت الأميرة برهة حتى تفرغ من فحص العلبة ثم قالت :

– نعم .. إنها علبته بالفعل .. إنني أعرفها جيدا .. وما شأن العلبة بالموضوع؟ هل عثرت عليها في الغرفة ؟ لقد كنا جميعا في الغرفة وربما تكون قد سقطت منه .. تبا لكم يا رجال الشرطة ، إنكم أسوأ من رجال الحرس

الأحمر .

– وما رأيك في هذا القفاز ؟

– كيف لي أن أعرف .. إن القفازات كلها متشابهة .. لا تحاول أن تقنعني بالتنحي عن الدفاع عنه .. لابد أن يترك هذا الفتى وشأنه .. يجب أن تبعده عن الشكوك وتتركه وشأنه ..سوف أبيع جواهري وأعطيك من المال ما تشاء . وقال "**بوارو**" معترضا :

– ولكن يا سيدتي ... وقاطعته الأميرة قائلة :

– هل اتفقنا إذن ؟ لا .. لا ، لا تجادلني .. يا للفتى التعس ! لقد جاءني والدموع في عينيه وقلت له سوف أنقذك .. سوف أقابل ذلك الرجل .. ذلك الغول المتوحش اترك الأمر لـ"**فيرا**" .. هل أستطيع أن أقول الآن إن المشكلة قد سويت ؟ إنني سأنصرف .. وكما دخلت الأميرة بضجها وضجيجها خرجت من الغرفة باندفاع تاركة وراءها رائحة العطر النفاذ الذي تتعطر به ، وقلت لـ"**بوارو**" :

– يا لها من امرأة ! وتلك الفروة التي ترتديها !

– آه نعم .. إنها رائعة حقا ! هل تستطيع أميرة مزيفة أن تقتني مثل هذه الفروة الثمينة ؟ إذن مزحتي الصغيرة يا "**هاستنجز**" أنني ... كلا إنها روسية بحق على ما أعتقد .. حسن جدا .. إذن فقد ذهب السيد "**برنارد**" إليها مثرثرا! وقلت لـ"**بوارو**" وأنا أحاول أن أستشف دخيلة نفسه :

– علبة السجائر تخص ذلك الفتى .. وسوف يدهشني ألا يكون القفاز يخصه أيضا . ابتسم "**بوارو**" ابتسامة عريضة وأخرج من جيبه فردة أخرى من القفاز ووضعها بجانب الأولى ، ولم يكن هناك أدنى شك في أنهما فردتا قفاز واحد ، وسألته :

– أين عثرت على الفردة الثانية يا "**بوارو**" ؟

– لقد كانت ملقاة فوق المنضدة بصالة المسكن في شارع "**بيري**" .. هذا الشاب الصغير مهمل بحق .. هذا السيد "**باركر**" .. حسن حسن يا صديقي يجب أن ننتهي من هذه القضية ، وحتى أستكمل الشكل القانوني فسوف أقوم بزيارة لـ"**بارك لين**" ..

غني عن البيان أنني رافقت "**بوارو**" في زيارته ، وكان "**جونسون**" في الخارج ساعة وصولنا ، ولكن سكرتيره الخاص استقبلنا ، وعلمنا منه أن "**جونسون**" وصل منذ فترة قريبة من "**جنوب إفريقيا**" ، وأنه لم يسبق له زيارة "**إنجلترا**" قبل ذلك ، وقال "**بوارو**" ليستحث السكرتير على الكلام :

– إنه من هواة جمع الأحجار الكريمة ، أليس كذلك ؟ ضحك السكرتير وهو يجيب بقوله :

– ربما كان التعبير الأدق أنه من هواة التنقيب عن الذهب .

خرج "**بوارو**" من تلك الزيارة شارد اللب ميالا للصمت وفوجئت به في ساعة متأخرة من المساء يدرس باهتمام شديد كتابا في تعلم مبادئ قواعد اللغة الروسية وصحت بدهشة :

– يا إلهي ! ما هذا الذي تفعله يا "**بوارو**" ؟ هل تتعلم اللغة الروسية حتى تستطيع أن تتفاهم مع الأميرة بلغتها الأصلية ؟

– إنها بكل تأكيد لن تفهم لغتي الإنجليزية يا صديقي !

– ولكنك تعلم على وجه اليقين يا "**بوارو**" أن النبلاء الروس يتحدثون الفرنسية. وقال "**بوارو**" ساخرا :

– إنك منجم للمعلومات يا "**هاستنجز**" ! سوف أتوقف عن فك رموز الحروف الأبجدية للغة الروسية .

ألقى "**بوارو**" الكتاب على الأرض بطريقة مسرحية، ولم تعجبني منه تلك

الحركة على الإطلاق ، وكان في عينيه وميض أعرفه من تجاربي السابقة ، ذلك الوميض الذي يدل على أن "**بوارو**" مسرور من نفسه ، وقلت له :

– ربما تكون شكوكك قد ذهبت إلى أن السيدة ليست روسية حقا وتريد أن تضع تلك الشكوك موضع الاختبار ؟

– آه .. كلا كلا .. إنها روسية بالفعل .

– حسن ، ما الفكرة إذن ؟ وقال "**بوارو**" وهو يبتسم ابتسامة عريضة :

– إذا أردت أن تتميز بحق وتكشف أسرار هذه القضية فإنني أوصيك بأن تقرأ كتاب الخطوات الأولى لتعلم اللغة الروسية .. فسوف يفيدك ذلك فائدة كبيرة .

أتبع "**بوارو**" تلك الكلمات بضحكة عالية ولم يقل شيئا ، وانحنيت على الأرض والتقطت الكتاب ، وأخذت أقلب صفحاته في فضول ، ولكنني وجدته كالطلاسم ولم أر ثمة ارتباطا بين ملاحظة "**بوارو**" وذلك الكتاب .. ولم يحمل لنا صباح اليوم التالي أي معلومات تفيدنا في القضية ومع هذا فلم يكن "**بوارو**" يشعر بأدنى قلق ، وأعلن لي ساعة الفطور عن نيته في زيارة السيد "**هاردمان**" ، وكان الرجل الضئيل موجودا في البيت ، وكانت أعصابه أهدأ من اليوم السابق ، وسأل الرجل باهتمام :

– حسن يا سيد "**بوارو**" .. هل من أنباء جديدة ؟ سلمه "**بوارو**" قصاصة من الورق وهو يقول :

– هذا هو اسم الشخص الذي سرق الجواهر .. هل تحب يا سيدي أن أعهد بالأمر إلى رجال الشرطة ، أم أقوم باسترداد الجواهر دون أن يتدخل رجال الشرطة في الأمر؟ تأمل السيد "**هاردمان**" الورقة برهة ولم يفتح فمه بكلمة ، وعندما واتته القدرة على الكلام قال :

– هذا شيء بالغ الغرابة .. إنني أفضل أن تتم تسوية الموضوع دون أي فضيحة يا سيد "**بوارو**" .. وأعطيك تفويضا كاملا لكي تعالج الموضوع بأقصى درجات الحذر والكتمان . كانت خطوتنا التالية أن نستقل إحدى سيارات الأجرة، وطلب "**بوارو**" من السائق أن يتجه إلى "**كارلتون**" ، وسأل عن الأميرة "**روساكوف**" ولم نجد عناء في الوصول إلى مقرها ، وخفت الأميرة للقائنا مرحبة وقالت في صخب :

– يا سيد "**بوارو**" ! هل نجحت في مهمتك ؟ هل استطعت أن تبرئ ذلك الفتى المسكين ؟ وقال "**بوارو**" وهو يبتسم ابتسامة ذات معنى :

– سيدتي الأميرة .. صديقك السيد "**باركر**" بريء تماما من التهمة وليس معرضا للاعتقال .

– آه .. يا لك من رجل حاد الذكاء ! مدهش وقد استطعت أن تحل المشكلة بسرعة أيضا ! وقال "**بوارو**" بهدوء :

– ولقد وعدت السيد "**هاردمان**" في نفس الوقت أن أعيد له الجواهر المسروقة اليوم .

– هكذا ؟

– هكذا يا سيدتي .. أكون مدينا لك بخالص الشكر لو تفضلت بوضع الجواد بين يدي الآن دون إبطاء .. إنني آسف لاستعجالك ولكن السبب أنني استأجرت سيارة أجرة تنتظرني أمام الباب في حالة ما إذا اضطررت للذهاب إلى اسكتلنديارد، ولعلك لا تعلمين يا سيدتي أننا معشر البلجيكيين نحب الاقتصاد .

أشعلت الأميرة لفافة وجلست برهة في صمت تام وهي تنفث دخان لفافتها بعصبية وتحملق إلى وجه "**بوارو**" ، ثم انفجرت ضاحكة دون مقدمات ووقفت واتجهت إلى الدولاب وفتحت درجا أخرجت منه حقيبة صغيرة مصنوعة من الحرير

الأسود ، وألقت الحقيبة بين يدي "**بوارو**" . وكان صوتها عندما بدأت الحديث هادئا :

– نحن الروس على العكس نميل إلى التبذير .. وحتى يستطيع الإنسان أن يمارس تلك الهواية فلا بد له من تدبير بعض النقود . لست في حاجة إلى أن تفتح الحقيبة لأنها تضم كل الجواهر .. نهض "**بوارو**" وهو يقول :

– أهنئك يا سيدتي الأميرة على سرعة بديهتك وذكائك .. وقالت الأميرة ضاحكة :

– وهل كان باستطاعتي أن أتصرف تصرفا آخر وأنا أعلم أن سيارة الأجرة تنتظرك؟

– أنت ساحرة يا سيدتي الأميرة .. هل تبقين طويلا في "**لندن**" ؟

– يؤسفني أن يكون جوابي بالنفي ، والسبب يرجع إليك .

– إنني شديد الأسف .

– ربما التقينا في مكان آخر .

– أرجو ذلك . وأردفت الأميرة تقول ضاحكة :

– في الواقع آمل ألا ألتقي بك مرة أخرى .. وربما كان من حقك أن أصرح بأنك أول رجل التقيت به في العالم أدخل الرعب إلى قلبي .. وداعا يا سيد "**بوارو**" ..

– وداعا يا سيدتي الأميرة .. آه ، معذرة .. نسيت أن أعيد لك علبة سجائرك .. انحنى "**بوارو**" انحناءة صغيرة وهو يمد يده بعلبة السجائر ، وتقبلت الأميرة العلبة بهدوء ، ولم يبد عليها أي انفعال فيما عدا أنها رفعت أحد حاجبيها وتمتمت قائلة :

– شكرا لك ! وبينما كنا نهبط الدرج قال "**بوارو**" :

– يا لها من امرأة ! يالها من امرأة ! لم تحاول أن تجادل ولم تصدر منها كلمة

اعتراض واحدة أو أي محاولة للمراوغة . . ألقت عليّ نظرة واحدة واستطاعت أن تتبين حقيقة الموقف بسرعة . . أحب أن أقول لك يا "**هاستنجز**" إن السيدة التي تتقبل الهزيمة بهذه السهولة بابتسامة الإنسان غير المكترث، مثل هذه السيدة ، على استعداد لأن تسير حتى نهاية الشوط . . إنها بالغة الخطورة ، ولديها أعصاب من الصلب . وسألته بفضول :

– منذ أي لحظة اتجهت شكوكك نحو الأميرة ؟

– يا صديقي العزيز . . كانت البداية مع القفاز وعلبة السجائر . . تستطيع أن تقول إنه الدليل المزدوج، لقد سبب لي ذلك حيرة بالغة . . فقد كان من المعقول أن يسقط القفاز بطريق الإهمال من "**برنارد باركر**"، ولكن أن تسقط منه كذلك علبة السجائر فهذا أمر بدا بالنسبة لي محاولة لإلصاق التهمة بالشاب ، كان أحد الدليلين كافيا للفت الأنظار إلى "**باركر**" ، القفاز أو علبة السجائر ، ولذا استنتجت أن أحد الدليلين لا يمت بصلة إلى "**باركر**" وتصورت في البداية أن علبة السجائر هي التي تخصه وأن القفاز ليس قفازه ، ولكنني عندما تأكدت أن فردة القفاز تخصه ، أدركت على الفور ما يعنيه الدليل الآخر ، وتساءلت : «لمن تكون علبة السجائر إذن ؟» من الواضح أنها ليست خاصة بالسيدة "**رانكورن**" لأن الحروف الأولى لا تمت لاسمها بصلة . . هل يكون السيد "**جونسون**" ؟ قد يصح ذلك إذا كان السيد "**جونسون**" ينتحل اسما غير اسمه الحقيقي وقد تأكدت من زيارتي لسكرتيره الخاص أن موقف السيد "**جونسون**" سليم وأنه بعيد عن الشبهات ، وليس في ماضي الرجل ما يشين . . وهنا فكرت في الأميرة . . كان المفترض أنها جاءت ببعض الجواهر من "**روسيا**" . وفكرت في أنها قد تكون انتزعت الأحجار الكريمة من القطع التي كانت مثبتة فيها حتى لا يسهل على أحد بعد ذلك معرفة مصدرها . . ولكن

الأمر الذي لا شك فيه أنها لم تقصد أن تسقط علبة السجائر داخل الخزانة .
وقلت له بدهشة :

– ولكن إذا كانت علبة السجائر تخصها ، فلماذا كان الحرفان المنقوشان على العلبة هما "ب" ، "ب" ؟ المعروف أن الحروف الأولى من اسمها هي "ف"، "د" .

– لأنها منقوشة باللغة الروسية . وقلت له في ضيق :

– حسن .. وكيف كنت تتوقع مني أن أخمن ذلك وأنا لا أعرف حرفا من الروسية .

– ولا أنا أيضا يا "**هاستنجز**" .. لهذا اشتريت ذلك الكتاب ولفت نظرك إليه.
ثم تنهد "**بوارو**" وهو يقول :

– تلك السيدة جديرة بالدراسة .. لديً شعور يا صديقي .. شعور غريب بأنني سوف ألتقى بها مرة أخرى ، أين ؟ هذا ما أفكر فيه ..

- 5 -

الجلسة الأخيرة

عبر "**راؤول**" نهر "**السين**" وهو يهمهم لنفسه بلحن صغير ، وكان "**راؤول**" شابا فرنسيا في حوالي الثانية والثلاثين من عمره ، صبوح الوجه له شارب أسود صغير، وهو بحكم المهنة يعمل مهندسا ، ووصل الشاب في اللحظة المناسبة لشارع "**كاردونيه**" ثم اتجه نحو باب البيت رقم 17 ، ونظرت إليه بوابة البيت باسمة وهي تقول :

– صباح الخير يا سيدي ..

وأجابها "**راؤول**" متهللا ثم صعد الدرج إلى شقة في الدور الثالث ، وضغط زر

الجرس ثم وقف ينتظر وهو لا يزال يتغنى بلحنه المفضل .. كان "**راؤول دوبريل**" يشعر في صباح ذلك اليوم بسعادة غامرة . وفتحت الباب سيدة فرنسية عجوز تملأ التجاعيد وجهها ، وابتسمت العجوز عندما رأت القادم وقالت له :

– صباح الخير يا سيدي . وأجاب قائلا :

– صباح الخير يا "**إيليز**" . دخل "**راؤول**" إلى الصالة وبدأ يخلع قفازه وهو يسأل الخادمة العجوز :

– السيدة تتوقع حضوري ، أليس كذلك ؟

– بلى يا سيدي .. إنها في انتظارك بالفعل . أغلقت "**إيليز**" الباب الخارجي ثم اتجهت إلى الداخل قائلة :

– أرجو أن يتفضل سيدي بالانتظار قليلا في غرفة الصالون .. سوف تأتي السيدة خلال بضع دقائق ، إنها ترتاح قليلا في الوقت الحاضر . وقال "**راؤول**" بقلق:

– هل هي مريضة ؟

– إنها بخير ! قالتها "**إيليز**" باستياء ، وتركت الشاب لتفتح له باب غرفة الصالون الصغيرة وتبعها إلى الحجرة بينما أردفت "**إيليز**" تقول :

– حسن .. كيف تنتظر منها أن تكون بصحة جيدة ؟ تلك المخلوقة البائسة .. جلسات تحضير الأرواح .. جلسات تحضير الأرواح دائما ! ليس هذا العمل سليما .. ليس هذا بالعمل الذي يرتضيه الله لنا ، إنني أقولها بكل صراحة ، إن السيدة بقيامها بدور الوسيط تتحالف مع الشيطان ! ربَّت "**راؤول**" كتفها برقة ليُطمئنها وقال بعطف :

– كفى ، كفى يا "**إيليز**" .. لا تثيري أعصابك بهذه الطريقة ولا تنسبي كل عمل لا تفهمينه إلى الشيطان . وهزت "**إيليز**" رأسها متشككة ثم قالت بغيظ :

– آه ، حسن .. يستطيع سيدي أن يقول ما يحلو له .. أما أنا فلا أحب هذا العمل .. انظر إلى السيدة لتحكم بنفسك .. إن وجهها يزداد كل يوم شحوبا ، وجسمها كذلك يزداد نحولا وضعفا .. وذلك الصداع اللعين ! ورفعت "**إيليز**" يديها وهي تقول :

– آه .. كلا .. لا خير في ذلك العمل .. عملية تحضير الأرواح هذه .. هل هي أرواح حقا ؟ إن جميع الأرواح الخيرة موجودة في الجنة والأرواح الشريرة تستقر في النار . وقال "**راؤول**" باسما :

– إن وجهة نظرك عن الحياة بعد الموت مبسطة وممتعة حقا يا "**إيليز**" . وغاص "**راؤول**" في المقعد وهو ينظر إلى "**إيليز**" باسما ،. وقالت الخادمة العجوز متبرمة :

– إنني كاثوليكية مخلصة يا سيدي. ورسمت العجوز علامة الصليب على صدرها ثم اتجهت نحو الشاب ، ووضعت يدها على قبضته قائلة في توسل :

– يجب أن تتوقف تلك الجلسات بعد أن يتم زواجكما يا سيدي .. يجب أن تتوقف تماما . ابتسم "**راؤول**" للخادمة بمودة وقال :

– إنك مخلصة يا "**إيليز**" وتحبين سيدتك حبا شديدا .. لا تخشي شيئا. ففور أن تصبح زوجتي سوف تتوقف جلسات تحضير الأرواح التي لا تعجبك .. لن تقوم السيدة "**دوبريل**" بدور الوسيط بعد ذلك . تهلل وجه "**إيليز**" وهي تستمع إلى تلك الكلمات المطمئنة وقالت بلهفة :

– هل صحيح ما تقوله يا سيدي ؟ هزَّ الشاب رأسه مؤمِّنا وقال بصوت خافت كأنه يحدث نفسه :

– نعم .. نعم .. يجب أن ينتهي كل هذا .. "**سيمون**" وسيطة موهوبة وقد قامت بأداء دور الوسيط بحرية ولكنها قد أدت مهمتها .. وكما ذكرت الآن تماما يا "**إيليز**" ، بدأت "**سيمون**" تميل إلى الهزال والشحوب .. إن الجهد الذي تقوم به

الوسيطة متعب ، ويؤثر تأثيرا سيئا في الجهاز العصبي .. ورغم كل ذلك فإن سيدتك تعتبر أعظم وسيطة لا في "**باريس**" وحدها وإنما في "**فرنسا**" بأسرها .. ويجيء إليها أشخاص في عمل ليس فيه غش أو خداع . أصدرت "**إيليز**" من فمها صوتا ينم عن الاحتقار قائلة :

– الغش ، آه ، كلا .. سيدتي لا تستطيع أن تخدع طفلا حديث الولادة حتى لو أرادت . وقال الشاب الفرنسي :

– إنها ملاك وسوف أفعل كل ما في وسعي لأوفر لها السعادة .. هل تصدقين ذلك ؟

رفعت "**إيليز**" رأسها في كبرياء وهي تقول بافتخار :

– لقد خدمت السيدة سنوات طويلة يا سيدي .. وأستطيع أن أقول بكل فخر إنني أحبها ، ولو لم أكن متأكدة من أنك تحبها الحب الذي تستحقه .. حسن يا سيدي .. لو أنني كنت أشك في حبك لها لمزقتك إربا إربا . وضحك "**راؤول**" بجذل وقال :

– حسنًا يا "**إيليز**" ! إنك صديقة مخلصة ، ويجب أن تصدقي ما قلته لك الآن.. سوف تتخلى سيدتك عن القيام بدور الوسيط بعد اليوم . كان الشاب يتوقع من السيدة العجوز أن تقابل كلماته بالارتياح ولكنها – لدهشته – ظلت على عبوسها وقالت :

– فلنفترض يا سيدي أن الأرواح هي التي رفضت أن تتخلى عنها ؟ التفت إليها "**راؤول**" وهو يحدق إلى وجهها بدهشة ثم قال :

– إيه ! ماذا تقصدين ؟

– كنت أقول .. فلنفترض أن الأرواح هي التي رفضت أن تتخلى عنها ؟

– ولكنني كنت أعتقد يا "**إيليز**" أنك لا تؤمنين بالأرواح .

– وما زلت على هذا الاعتقاد .. من الحماقة أن يؤمن الإنسان بالأرواح ولكن في نفس الوقت ... وسكتت "**إيليز**" وقال الشاب يستحثها :

– حسن ؟

– من الصعب عليّ أن أشرح الأمر يا سيدي .. أنت تعرف رأيي في الوسطاء.. لقد كنت أعتقد دائما أنهم غشاشون ومخادعون .. يحتالون على الأشخاص التعساء الذين فقدوا عزيزا لديهم ليبتزوا نقودهم .. ولكن الأمر يختلف بالنسبة إلى السيدة .. إنها سيدة طيبة وأمينة و .. خفضت "**إيليز**" صوتها وهي تقول بلهجة مشوبة بالرعب :

– هناك أشياء غريبة تحدث وهذه الأشياء ليست خدعا .. أشياء فظيعة تحدث وهذا ما يملؤني رعبا ، لأنني متأكدة من أن هذا العمل ليس طيبا يا سيدي .. إنه ليس صوابا .. إنه ضد الطبيعة وضد إرادة الله ومن ثم فلابد أن يدفع أحدهم الثمن. غادر "**راؤول**" مقعده بانفعال واقترب من الخادمة العجوز ثم ربت كتفها وهو يقول :

– هدئي من ثائرة أعصابك يا "**إيليز**" .. انظري إليّ .. سوف أقول لك بعض الأنباء الحسنة .. سوف يشهد اليوم آخر جلسة لتحضير الأرواح ، وأؤكد لك أن هذه الجلسات لن تتكرر بعد اليوم . وقالت "**إيليز**" متبرمة :

– معنى هذا أن اليوم سوف يشهد جلسة جديدة ..

– الأخيرة .. أؤكد لك أنها الأخيرة يا "**إيليز**" . هزت "**إيليز**" رأسها بعدم ارتياح ثم قالت :

– سيدتي ليست على ما يرام .. إنها ..

لم تكمل "**إيليز**" كلماتها لأن الباب فتح في تلك اللحظة ودخلت الحجرة سيدة رقيقة طويلة القامة ، كانت نحيلة ولكن وجهها مشرق وعليه ابتسامة تشبه

ابتسامة السيدة العذراء في لوحة الفنان "**بوتشيللي**" .. أشرق وجه "**راؤول**" ، وانسحبت "**إيليز**" على الفور ، وقال "**راؤول**" بابتهاج :

– "**سيمون**" !

أمسك "**راؤول**" بكلتا يديها بأصابعه الطويلة وقبل اليدين الواحدة بعد الأخرى، وتمتمت "**سيمون**" باسمة في شغف قائلة :

– "**راؤول**" يا حبيبي . قبل الشاب يديها للمرة الثانية ثم أطال النظر إلى وجهها وهو يقول بلهفة:

– "**سيمون**" ! كم يبدو وجهك شاحبا ! أخبرتني "**إيليز**" بأنك كنت ترتاحين.. هل أنت مريضة يا حبيبتي ؟ ترددت "**سيمون**" برهة قبل أن تجيب بقولها :

– لا .. لست مريضة .. قادها "**راؤول**" إلى الأريكة وأجلسها ثم جلس بجوارها وهو يقول :

– ولكن خبريني كيف حالك إذن . ابتسمت الوسيطة ابتسامة واهنة وهي تقول بهمس :

– سوف تقول إنني حمقاء ..

– أنا أقول عنك حمقاء ؟ مستحيل .. خلصت "**سيمون**" يدها من قبضته ثم اعتدلت في جلستها واستسلمت للصمت برهة قصيرة ثم أخذت تنظر إلى السجادة ، وعندما بدأت حديثها كان صوتها خافتا ومتعجلا :

– إنني خائفة يا "**راؤول**" . انتظر "**راؤول**" دقيقة أو دقيقتين حتى تستأنف حديثها ، ولما طال صمتها سألها في قلق :

– نعم .. من أي شيء تخافين ؟

– مجرد شعور بالخوف .. هذا كل ما في الأمر .

– ولكن .. ونظر إليها الشاب في حيرة وأجابت على نظرته بسرعة قائلة :

– نعم .. إنه شعور سخيف .. أليس كذلك ؟ ومع هذا فإنني أشعر بالخوف.. خائفة من أي شيء ؟ لست أدري في الواقع .. ولكنني في نفس الوقت أشعر في أعماق نفسي بالخوف من شيء فظيع .. شيء فظيع مجهول يوشك أن يقع لي. حدقت "**سيمون**" إلى الفضاء أمامها ، وأحاط "**راؤول**" خصرها بساعده وهو يقول بعطف :

– يا أعز من لدي في الوجود .. يجب أن تتماسكي .. إنني أعرف هذا الشعور الذي يخامرك .. إنها الأعصاب المشدودة يا "**سيمون**" .. الإجهاد العصبي الذي يعانيه الوسيط ∴ الراحة هي ما تحتاجين إليه .. الراحة والهدوء. نظرت إليه "**سيمون**" بامتنان وهي تقول :

– نعم يا "**راؤول**" .. الحق معك .. هذا ما أحتاج إليه بالفعل .. الراحة والهدوء..

أغمضت "**سيمون**" عينيها وأراحت رأسها على ذراعه ، وتمتم الشاب وهو يهمس في أذنها :

– والسعادة .. ضمها "**راؤول**" بين ذراعيه بقوة ، وكانت "**سيمون**" لا تزال مغمضة العينين، وتنهدت الوسيطة بعمق ثم قالت في همس :

– نعم .. نعم .. عندما تحيطني بذراعيك أحس بالأمان .. أنسى حياتي .. حياتي الفظيعة كوسيطة ، إنك تعرف الشيء الكثير يا "**راؤول**" عن تلك الحياة، ومع هذا فلا يمكن أن تعرف كل شيء عما تعنيه تلك الحياة . أحس الشاب بجسم "**سيمون**" يتصلب بين ذراعيه ، وفتحت "**سيمون**" عينيها مرة أخرى وبدأت تحدق ثانية إلى الفضاء أمامها ثم قالت في إعياء :

– إنني أبقى في داخل الحجرة المظلمة أنتظر .. الانتظار في الظلام رهيب

يا "**راؤول**" .. لأنه ظلام الفراغ والعدم ، والإنسان يترك نفسه لذلك العدم طواعية بحيث يفنى فيه ، ثم لا يحس بعد ذلك بشيء ، ولكن الإنسان عندما يبدأ في العودة ببطء إلى وعيه يحس بآلام من يستيقظ من نوم مجهد .. ويشعر الإنسان في تلك اللحظة بإرهاق فظيع . وهمس "**راؤول**" قائلا :

– إنني أعرف ذلك .. أعرف ذلك . تمتمت "**سيمون**" مرة أخرى بصوت هامس:

– إجهاد كامل ..

– ولكنك رائعة يا "**سيمون**" . أمسك "**راؤول**" بيديها برقة وهو يحاول أن يثير حماسها لتشترك معه في مشاعره وقال :

– ولكنك كوسيطة فريدة من نوعك .. إنك أعظم وسيطة للأرواح في العالم بأسره . هزت رأسها هزة خفيفة وهي تبتسم ابتسامة واهنة . قال "**راؤول**" بلهجة التأكيد :

– نعم .. نعم يا "**سيمون**" . وأخرج خطابين من جيبه وقال :

– انظري إلى هذين الخطابين .. أحدهما من البروفيسير "**روش**" من "**سالبترييه**" والآخر من الدكتور "**جنيسر**" من "**نانسي**" ، وكلاهما يطلب منك أن تستمري في العمل معه كوسيطة من حين لآخر .

– آه كلا ! وقفت "**سيمون**" فجأة وهي تقول بعصبية :

– لا .. لا .. لن أفعل ذلك .. يجب أن أتوقف عن أداء هذا العمل تماما .. لقد وعدتني يا "**راؤول**" . ظل "**راؤول**" يتأملها في دهشة وهي تقف مترنحة ، وتنظر إليه نظرات إنسان وقع في ورطة شديدة ، ووقف الشاب بدوره وأمسك يدها برقة وهو يقول :

– نعم .. نعم .. نحن متفاهمان على أن ذلك العمل قد انتهى بكل تأكيد ..

ولكنني فخور بك يا "**سيمون**" . وكان هذا هو السبب الذي دفعني إلى أن أعرض عليك هذين الخطابين . . نظرت إليه "**سيمون**" بارتياب ثم قالت :

– هل أنت واثق بأنك لن تعرض عليّ القيام بهذا العمل مرة أخرى ؟ وقال "**راؤول**" في شيء من التردد :

– نعم . . نعم . . إلا إذا رأيت أنت نفسك أن تقومي بهذا العمل بين الحين والآخر إكراما لخاطر بعض الأصدقاء القدامى . رمته "**سيمون**" مرة أخرى بنظرة مملوءة بالشك وهي تقول معاتبة :

– ألن تطلب مني أنت أن أفعل ذلك من أجلك ؟

– كلا . . كلا . . قاطعته "**سيمون**" قائلة باضطراب :

– لن أقوم بأداء دور الوسيطة بعد ذلك أبدا . . إنني أقول لك إنني أحس بالخطر . . أحس بخطر شديد يا "**راؤول**" . ووضعت يدها فوق جبينها برهة ثم اتجهت نحو النافذة وهي تدير ظهرها له وقالت :

– عدني ألا يتكرر ذلك مرة أخرى . تبعها "**راؤول**" إلى النافذة ووضع يده على كتفها وهو يقول برقة :

– يا أحب من لديّ في الوجود . . أعدك بألا أكرر عليك هذا الطلب بعد اليوم.

أحس "**راؤول**" بالرجفة التي سرت في جسدها ، وتمتمت "**سيمون**" تقول في اضطراب :

– اليوم ؟ آه . . نعم . . لقد نسيت السيدة "**إيكسي**" . . نظر "**راؤول**" في ساعته ثم قال :

– من المفترض أن تصل الآن في أي لحظة ، ولكنك تستطيعين أن تعتذري يا "**سيمون**" لو أنك . . لم تكن "**سيمون**" في الواقع مصغية لما يقول ، وإنما كانت تتابع الأفكار التي خطرت على بالها في تلك اللحظة ، وقالت "**سيمون**" بصوت

هامس كأنما تحدث نفسها :

– إنها .. سيدة غريبة الأطوار يا "**راؤول**" .. سيدة غريبة الأطوار حقا .. هل تعرف أنني أرتجف لمجرد رؤيتها ؟

– "**سيمون**" ! كانت نبرات صوته توحي بالتأنيب ، وأدركت "**سيمون**" ذلك على الفور وقالت مستدركة :

– نعم .. نعم .. إنني أعرف أنك على شاكلة جميع الفرنسيين يا "**راؤول**" .. الأم في نظرك إنسان مقدس ولا يليق بي أن أحس نحوها بتلك المشاعر في الوقت الذي تشعر فيه الأم باللوعة على ابنتها .. تلك السيدة تبدو ضخمة سوداء، ويداها.. ألم تلاحظ يديها يا "**راؤول**" ؟ إنهما يدان كبيرتان قويتان كيدي رجل .. يا إلهي ! ارتجفت "**سيمون**" وأغمضت عينيها ، وسحب "**راؤول**" يده التي كانت تحيط بخصرها وقال بقلق :

– إنني في الواقع لا أستطيع أن أفهمك يا "**سيمون**" .. إنك كامرأة كنت أجدر بالشعور بالتعاطف مع سيدة أخرى .. سيدة حرمت من طفلتها الوحيدة. أومأت "**سيمون**" إيماءة تعبر عن نفاد صبرها، ثم قالت :

– آه .. إنك أنت الذي لا يريد أن يفهمني يا صديقي ! هذه أمور خارجة عن إرادة الإنسان .. منذ اللحظة الأولى التي رأيت فيها تلك السيدة شعرت .. سكتت "**سيمون**" برهة ثم لوحت بيدها قائلة :

– شعرت بالخوف ! هل تذكر يا "**راؤول**" كيف أنني ترددت طويلا قبل أن أوافق على الجلوس كوسيطة من أجلها ؟ لقد داخلني شعور منذ الوهلة الأولى بأن تلك السيدة سوف تجلب لي سوء الحظ . هزَّ "**راؤول**" كتفيه وهو يقول :

– ومع هذا فقد كان الأمر في الحقيقة على خلاف ذلك تماما .. وسكت "**راؤول**" بدوره برهة ثم أردف يقول بجفاء :

– لقد تميزت جميع الجلسات بالنجاح .. واستطاعت روح الصغيرة "**آني**" أن تتقمصك ، وكان التجسيد تاما وملفتا للنظر .. كان ينبغي أن يحضر البروفيسير "**روش**" الجلسة الأخيرة ليرى بنفسه . وقالت "**سيمون**" بصوت منخفض :

– التجسيد .. قل لي يا "**راؤول**" .. أنت تعرف جيدا أنني لا أعلم شيئا عما يجري من حولي عندما تنتابني الغيبوبة .. هل يبدو تجسيد الأرواح رائعا ؟ فأومأ "**راؤول**" برأسه وهو يقول بحماس :

– لم يكن التجسيد بالنسبة إلى الفتاة الصغيرة واضحا خلال الجلسات الأولى ، ولكن الجلسة الأخيرة ..

– نعم ؟ قال "**راؤول**" بصوت ناعم للغاية :

– "**سيمون**" .. لقد كانت الطفلة التي تجسدت أمام أعيننا حقيقية تماما .. كأنها جسم بشري تسري الدماء في شرايينه وينبض بالحياة .. لقد لمستها ولكنني لم أكن لأسمح للسيدة "**إيكسي**" أن تفعل نفس الشيء ، لأنني أعرف أن اللمس يؤدي إلى إيلامك ، وخشيت أن تفقد الأم السيطرة على أعصابها فتتسبب في إيذائك . أشاحت "**سيمون**" بوجهها مرة أخرى وهي تسير نحو النافذة وقالت :

– عندما استيقظت كنت منهكة تماما . "**راؤول**" .. هل أنت واثق من أن هذا الذي نفعله ليس خطأ ؟ أنت تعرف رأي العزيزة "**إيليز**" في تحضير الأرواح .. إنها تقول إنني أتحالف مع الشيطان .. ضحكت "**سيمون**" ضحكة جوفاء وهي تنطق بتلك الكلمات الأخيرة ، وقال "**راؤول**" بأسى :

– أنت تعرفين ما أعتقده يا "**سيمون**" .. بالنسبة للتعامل مع المجهول يكون الخطر ماثلا بصفة دائمة ، ولكن الدافع نبيل ولا شك ، لأن الدافع الحقيقي هو البحث العلمي .. ولقد عرف جميع أنحاء العالم شهداء ضحوا بحياتهم في سبيل العلم .. كانوا الرواد الذين دفعوا حياتهم ثمنا لكي يمهدوا الطريق لمن يأتي بعدهم

فلا يواجهون نفس المخاطر .. وأنت يا "**سيمون**" .. لقد ظللت طوال عشر سنوات تعملين من أجل العلم متحملة الجهد العصبي الذي تتعرضين له .. أما الآن فقد أديت واجبك وقمت بدورك على خير وجه .. ومنذ اليوم فصاعدا من حقك أن تتمتعي بالحرية والسعادة . ابتسمت "**سيمون**" ابتسامة تعبر بها عن الرضا والمودة ، وعاد إليها هدوء أعصابها ، ثم ألقت نظرة سريعة على ساعة الحائط وقالت :

– لقد تأخرت السيدة "**إيكسي**" .. ربما لن تأتي اليوم. خطت "**سيمون**" نحو منتصف الحجرة حيث شغلت نفسها بترتيب بعض قطع الأثاث بينما قال "**راؤول**" :

– أعتقد أنها سوف تأتي .. يبدو أن ساعتك تقدم بعض الشيء . وقالت "**سيمون**" :

– من تكون تلك السيدة ؟ من أين جاءت ؟ وإلى أي أسرة تنتمي ؟ أليس من الغريب ألا نعرف عنها أي شيء على الإطلاق ؟

– يحاول أغلب الناس الذين يطلبون تحضير الأرواح العزيزة عليهم أن تظل شخصياتهم مجهولة بالنسبة للوسيط .. وسكت الشاب برهة ثم أردف يقول :

– ومن البديهي أن هذا احتياط أولي ..

– أعتقد أن الأمر كذلك .. انزلقت زهرية من الخزف من يد "**سيمون**" وهي تقول كلماتها الأخيرة وسقطت الزهرية على الأرض متحطمة ومتناثرة إلى قطع صغيرة ، ونظرت "**سيمون**" إلى الشاب بحدة وهي تقول :

– هل رأيت .. إنني مضطربة الأعصاب يا "**راؤول**" .. هل تراني شديدة الجبن إذا قلت للسيدة "**إيكسي**" إنني لن أستطيع أن أقوم بدور الوسيطة اليوم ؟ عبرت نظرات "**راؤول**" عن الدهشة مما جعل الدم يصعد إلى رأسها ، وقال لها برجاء :

– لقد وعدت يا "**سيمون**" .. استندت "**سيمون**" بظهرها على الحائط وهي

تقول :

– لن أفعل ذلك يا "**راؤول**" .. لن أفعل ذلك . نظر إليها الشاب تلك النظرة الرقيقة التي تحمل معنى التأنيب مما جعلها تتراجع وقال الشاب :

– ليس المال هو ما أفكر فيه يا "**سيمون**" رغم أنك تعرفين أن تلك السيدة قد عرضت مبلغا طائلا في سبيل جلسة أخيرة ترى فيها روح ابنتها الوحيدة.. قاطعته "**سيمون**" قائلة في تحد :

– هناك أشياء تفوق أهميتها أهمية المال . وأجابها بحرارة :

– أوافقك على ذلك تماما .. هذا ما أقوله أنا أيضا .. ولكن فكري في أن تلك السيدة أم ماتت ابنتها الوحيدة .. لو أنك كنت منحرفة المزاج فإنك تستطيعين أن تتذرعي بأي حجة حتى لا تسدي معروفا إلى سيدة غنية .. أما إذا كان الأمر يتعلق بأم تتلهف على رؤية ابنتها لآخر مرة .. مدت "**سيمون**" يديها أمام جسمها في حركة تعبر عن اليأس، وقالت بصوت هامس :

– إنك تعذبني يا "**راؤول**" .. ومع هذا فالحق معك .. سوف أفعل ما تطلبه مني، ولكنني أعرف الآن ما هو ذلك الشيء الذي يخيفني .. إنها كلمة .. الأم..

– "**سيمون**" !

– هناك قوى بدائية أولية يا "**راؤول**" .. لقد استطاعت الحضارة أن تقضي على معظم تلك القوى ، ولكن الأمومة ظلت قوية كما كانت دائما منذ البداية.. إن حب الأم لطفلها لا يعادله شيء في الوجود .. إنه حب لا يعرف قانونا أو رحمة .. إنها عاطفة تجرؤ على كل شيء وتحطم أي شيء يعترض سبيلها. توقفت "**سيمون**" عن الحديث وهي تلهث من شدة الانفعال ، ثم استدارت لتواجه الشاب بابتسامة مستسلمة وهي تقول :

– إنني أعرف أنني أبدو غبية يا "**راؤول**" . إنني أعرف ذلك . أمسك الشاب

بيديها وهو يقول لها متوسلا :

– أرجوك أن ترقدي لمدة دقيقة أو دقيقتين . أريحي جسدك حتى يحين موعد حضورها .

– حسن جدا .. ابتسمت "**سيمون**" ثم غادرت الحجرة وظل الشاب وحده لمدة دقيقة أو دقيقتين غارقا في أفكاره ، ثم سار نحو الباب وفتحه وسار نحو الصالة الصغيرة ثم عبرها إلى الغرفة التي تقع في الجانب الآخر من المسكن ، وهي غرفة استقبال شبيهة بالغرفة التي غادرها منذ لحظات ، فيما عدا أنه توجد في ركن من الحجرة خلوة يتوسطها مقعد كبير للراحة ، وأعدت ستائر من القطيفة السوداء الثقيلة لتحيط بالخلوة من كل مكان ، وكانت "**إيليز**" مشغولة بوضع مقعدين أمام الخلوة تتوسطهما منضدة مستديرة ، وفوق المنضدة كان يوجد رق ونفير وبعض أوراق الكتابة وبعض الأقلام الرصاص ، وعندما شاهدت الخادمة العجوز الشاب مقبلا قالت له :

– هذه هي الجلسة الأخيرة .. آه يا سيدي .. كم كنت أتمنى لو كان هذا العمل قد انتهى بالفعل .. دوى في المكان رنين جرس الباب الخارجي ، وقالت الخادمة العجوز باستياء:

– ها قد وصلت تلك السيدة التي تشبه رجال الشرطة في ضخامة الجسم .. لماذا لا تذهب هذه السيدة إلى الكنيسة وتوقد شمعة للسيدة العذراء وتصلي على روح ابنتها ؟ ألا يعرف الإله الرحيم ماهو خير لنا ؟ وقال "**راؤول**" بصوت آمر :

– افتحي الباب يا "**إيليز**" . فرمقته الخادمة العجوز بنظرة حادة ولكنها انسحبت على الفور ، وعادت بعد قليل تتقدم الزائرة قائلة :

– سوف أخبر السيدة بوصولك يا سيدتي .. تقدم "**راؤول**" من السيدة وشد على يدها بحرارة وبينما هو يسلم على السيدة الكبيرة الجسم تذكر كلمات

"**سيمون**" .. يدان كبيرتان سوداوان ..

كانت السيدة الضخمة تتشح بالسواد ولكنها كانت تبدو مفرطة في إظهار الحداد على ابنتها ، وعندما بدأت تتكلم كان صوتها عميقا للغاية .. قالت :

– أخشى أن أكون قد تأخرت قليلا عن موعدي يا سيدي . وقال لها "**راؤول**" باسما :

– بضع دقائق فقط .. السيدة "**سيمون**" ترتاح قليلا .. يؤسفني أن أخبرك صحتها اليوم ليست على ما يرام .. إنها عصبية للغاية ومجهدة إلى حد كبير.

عندما سمعت السيدة "**إيكسي**" تلك الكلمات شددت من قبضتها على يد "**راؤول**" بدلا من أن تسحبها وسألت بحدة :

– ولكنها سوف تحضر لي روح ابنتي رغم ذلك ؟

– نعم يا سيدتي ..

تنهدت السيدة "**إيكسي**" بارتياح وغاصت في المقعد وهي ترخي واحدا من الأحجبة السوداء الثقيلة التي تسدلها على وجهها، وتمتمت قائلة :

– آه يا سيدي ! إنك لا تستطيع أن تتصور .. لا يمكن أن تتخيل مدى ما أحسً به من دهشة ومتعة وأنا أحضر هذه الجلسات ! صغيرتي المسكينة ! حبيبتي "**إميلي**" .. أن أشاهدها وأسمع صوتها بل وربما .. ربما أستطيع أن أمد يدي لألمس جسدها الرقيق . قال "**راؤول**" بكلمات متدفقة في حزم شديد :

– السيدة "**إيكسي**" .. لا أدري كيف أشرح لك الأمر .. يجب ألا تفكري بحال من الأحوال في أي عمل لا يتفق تماما مع تعليماتي وإلا تسببت في وقوع ضرر جسيم .

– ضرر لي أنا ؟

– كلا يا سيدتي .. الوسيطة هي التي تتعرض للضرر ويجب أن تفهمي

ياسيدتي أن الظواهر التي تحدث ، ليس لها سوى تفسير علمي محدود ، وسوف أحاول أن أشرح لك الموضوع قدر الاستطاعة دون الالتجاء إلى أي مصطلحات علمية .. لكي تستطيع الروح أن تظهر للعيون ، لابد لها من أن تستخدم مادة طبيعية من جسم الوسيط .. وقد شاهدت بنفسك البخار الذي يتصاعد من شفتي الوسيطة .. هذا البخار يتكاثف ويتشكل على هيئة الجسم الذي كان عليه الإنسان قبل الوفاة .. هذه المادة تسمى "**الإكتوبلازما**" .. ولكن هذه "**الإكتوبلازما**" تُستمد من جسم الوسيط نفسه ، ونأمل أن نثبت هذه الحقيقة علميا عندما نتمكن ذات يوم من أن نزن تلك المادة ونختبرها ، غير أن الصعوبة التي تعترضنا تتمثل في الخطر والألم الذي يعانيه الوسيط الذي يتعرض لهذه الظاهرة ، وحتى هذه اللحظة فإن أي شخص يتعرض للروح الظاهرة ، يتسبب في موت الوسيط في الحال . كانت السيدة "**إيكسي**" تنصت للشاب باهتمام شديد ، وقالت بلهفة :

– هذا شيء مثير للغاية يا سيدي .. قل لي .. ألن يجيء اليوم الذي تنفصل فيه الروح المتجسدة عن الوسيط ؟

– هذه الأمنية لا تزال حلما يا سيدتي . وقالت السيدة بإصرار :

– ولكن من حيث الواقع .. أليس هذا ممكنا ؟

– بالنسبة للوقت الحاضر هناك استحالة كاملة ..

– ولكن ماذا بالنسبة للمستقبل ؟ وأنقذ الشاب من الإجابة عن هذا السؤال ، دخول "**سيمون**" في تلك اللحظة وكانت تبدو شديدة الشحوب ، ولكنها كانت قد استعادت بعض هدوء الأعصاب، وتقدمت "**سيمون**" بثبات وحيت السيدة "**إيكسي**" رغم أن "**راؤول**" لاحظ الرجفة التي سرت في بدنها وهي تسلم على السيدة الضخمة ، وقالت السيدة "**إيكسي**" :

– أعبر لك عن بالغ أسفي يا سيدة .. لقد سمعت أنك منحرفة المزاج . وقالت "**سيمون**" بشرود :

– إنها وعكة خفيفة .. هل نبدأ الآن ؟ تقدمت "**سيمون**" نحو الخلوة وجلست في المقعد الكبير ، وفجأة أحس "**راؤول**" برعدة تسري في بدنه وخامره شعور غامض من الخوف ، وقال :

– لست على درجة كافية من القوة .. من الأفضل أن تلغي هذه الجلسة يا "**سيمون**" .. وسوف تقدر السيدة "**إيكسي**" الموقف ولا شك . هبت السيدة "**إيكسي**" واقفة وهي تقول بعصبية :

– سيدي ! وقال "**راؤول**" بحدة :

– من الأفضل ألا نجري جلسة اليوم ..

– ولكن السيدة "**سيمون**" وعدت بأن تكون هذه الجلسة الأخيرة . تدخلت "**سيمون**" في الحديث قائلة باستسلام :

– نعم لقد وعدت .. وأنا على استعداد للوفاء بالوعد . وقالت السيدة الأخرى:

– وأنا في انتظار أن تفي بالوعد . وقالت "**سيمون**" ببرود :

– إنني لا أحنث بوعدي يا سيدتي .. لا تخش شيئا يا "**راؤول**" .. وسكتت "**سيمون**" برهة ثم أردفت تقول برقة :

– على أي حال هذه الجلسة هي الأخيرة .. حمدا لله على أنها الجلسة الأخيرة. وعقب إشارة منها ، جذب "**راؤول**" الستائر السوداء ليغطي الخلوة ، ثم جذب الستارة التي تغطي نافذة الحجرة حتى يصبح المكان شبه مظلم ، وأشار للسيدة "**إيكسي**" بأن تجلس على أحد المقعدين ، وأعد نفسه للجلوس على المقعد الآخر، ولكنه رأى السيدة "**إيكسي**" مترددة في الجلوس وقالت :

– أرجو المعذرة يا سيدي ولكن .. أنت تعرف جيدا أنني مؤمنة تمام الإيمان

بنزاهتك ونزاهة السيدة "**سيمون**" .. ولكنني في نفس الوقت أحب أن تكون شهادتي ذات قيمة أكبر ، ولهذا فقد سمحت لنفسي أن أحضر معي هذا. أخرجت السيدة من حقيبة يدها حبلا رفيعا ، وقال "**راؤول**" معترضا :

– سيدتي ! هذه إهانة .

– إنه مجرد احتياط .

– أكرر يا سيدتي أن هذه إهانة . وقالت السيدة "**إيكسي**" ببرود :

– إنني لا أفهم سر اعتراضك يا سيدي .. إذا لم يكن في الأمر خديعة فما الذي تخشاه ؟ ضحك "**راؤول**" ضحكة هازئة وهو يقول :

– أستطيع أن أؤكد لك يا سيدتي أنني لا أخشى شيئا على الإطلاق .. اربطي يدي وقدمي إن شئت . لم يكن لإجابته الأثر الذي كان يرجوه ، وقالت السيدة "**إيكسي**" وهي تقترب منه :

– شكرا لك يا سيدي ! وصرخت "**سيمون**" فجأة من وراء الستارة قائلة :

– كلا .. كلا يا "**راؤول**" .. لا تسمح لها بأن تفعل ذلك . ضحكت السيدة "**إيكسي**" ضحكة ساخرة وهي تقول :

– هل السيدة خائفة !

– نعم .. إنني خائفة . وقال "**راؤول**" بعصبية :

– فكري فيما تقولينه يا "**سيمون**" .. من الواضح أن السيدة "**إيكسي**" تنظر إلينا على أننا محتالان . وقالت السيدة "**إيكسي**" بعبوس :

– يجب أن أتأكد . مضت السيدة في مهمتها غير عابئة بشيء وهي تشد وثاق "**راؤول**" بالحبل إلى المقعد بإحكام ، وقال الشاب بعد أن انتهت السيدة "**إيكسي**" من مهمتها :

– يجب أن أهنئك يا سيدتي لبراعتك في شد وثاقي ، هل أنت راضية الآن ؟

لم تجب السيدة بشيء ، وأباحت لنفسها أن تتجول في الحجرة لتفحص الجدر بإحكام ، ثم أغلقت الباب الذي يفصل الحجرة عن الصالة وأخذت المفتاح ، وعندما اطمأنت إلى أداء مهمتها على الوجه الأكمل عادت إلى مقعدها قائلة بصوت بشع :

ـ الآن .. أنا على استعداد .

خيم الصمت على المكان ، ومرت الدقائق بطيئة ثقيلة الوطء ، وجاء من خلف الستار صوت أنفاس "**سيمون**" وهي تزداد ثقلا وبطئا ، ثم غابت أصوات التنفس تماما وأعقب ذلك بضع صرخات تعبر عن الألم ، ثم أعقب ذلك صمت مطبق لفترة وجيزة ، وتردد في الحجرة صوت الرق ، ثم طار النفير من فوق المنضدة وسقط على الأرض ، وتردد في الحجرة ما يشبه الضحكات الساخرة ، وبدا كما لو أن الستائر أزيحت إلى الوراء قليلا ، وظهر جسد الوسيطة من خلال فتحة الستائر ، وكان رأسها يميل على صدرها ، وشهقت السيدة "**إيكسي**" فجأة وهي ترى شريطا من الضباب يخرج من فم الوسيطة ، وظل الضباب يتكاثف تدريجيا ويتخذ شكلا متماسكا بدا في النهاية على شكل طفلة صغيرة ، وصاحت السيدة بانفعال :

ـ "**إميلي**" .. ابنتي العزيزة "**إميلي**" .. كان الشكل الضبابي يزداد وضوحا ، ونظر "**راؤول**" إلى المنظر وهو لا يكاد يصدق ما تراه عيناه ، فلم يحدث في أي جلسة سابقة أن ظهرت الروح مجسمة بمثل هذا الوضوح الكامل ، لقد كانت الطفلة التي تبدو للأعين ، حقيقة ماثلة تنبض بالحيوية والحياة ، وقالت الطفلة :

ـ ماما ! كان صوت طفل صغير ، وقالت الأم الملهوفة :

ـ ابنتي العزيزة ! ابنتي الحبيبة ! كادت السيدة "**إيكسي**" تنهض من مكانها لتلمس جسد الطفلة ، وصاح "**راؤول**" محذرا :

ـ كوني على حذر يا سيدتي : اقتربت الروح المجسمة من الستائر ووقفت الطفلة

باسطة ذراعيها إلى الأمام وهي تنادي :

– ماما ! صاحت الأم مرة أخرى بانفعال وهي تحاول النهوض :

– آه ! وصاح "**راؤول**" بدوره محذرا السيدة :

– حاذري من أجل الوسيطة .. صاحت السيدة "**إيكسي**" بصوت خشن :

– يجب أن ألمسها ! وصاح "**راؤول**" بارتياع :

– أستحلفك بالله ألا تفعلي يا سيدتي .. تمالكي نفسك . شعر الشاب بالارتياع وهو يرى السيدة تتحرك من مكانها وقال بصوت آمر :

– إنني آمرك بالجلوس !

– ابنتي الصغيرة .. لابد من أن ألمسها .. حاول "**راؤول**" بكل قوته أن يتخلص من الحبل الذي يقيده إلى المقعد ليمنع السيدة "**إيكسي**" من تنفيذ رغبتها ، ولكن السيدة "**إيكسي**" كانت قد أدت مهمتها والشاب عاجز عن منعها ، واكتسحه شعور غامر بوقوع كارثة فظيعة ، وصاح للمرة الأخيرة :

– أستحلفك بالله يا سيدتي أن تعودي إلى مقعدك .. تذكري ما يمكن أن يحدث للوسيطة . فلم تعبأ السيدة "**إيكسي**" بصراخه وبدت كامرأة أصيبت بمس من الجنون ، كان وجهها متهللا وهي في نشوة غامرة ، ومدت يدها لتلمس الجسد الماثل أمام الستائر ، وصدرت من الوسيطة صرخة ألم شديدة ، وقال "**راؤول**" بيأس :

– يا إلهي ! يا إلهي ! هذا فظيع .. الوسيطة .. الوسيطة . أدارت السيدة "**إيكسي**" رأسها لتواجهه وهي تضحك ضحكة مجنونة وقالت :

– لا يعنيني ما يحدث لوسيطتك .. إني أريد ابنتي .

– لا شك في أنك قد جننت !

– أقول لك إنها ابنتي .. ابنتي ! جزء من لحمي ودمي .. تعالي إليّ ياصغيرتي

من عالم الموتى .. هأنت تعودين حية تنبضين بالحيوية ويجري الدم في عروقك!
فتح "**راؤول**" فمه ولكن الكلمات لم تخرج من بين شفتيه ، لقد كانت تلك السيدة مخلوقة فظيعة ! متوحشة .. مستغرقة في عاطفتها الخاصة ، وانفجرت شفتا الطفلة للمرة الثالثة منادية بنفس الصوت الطفولي :

– ماما ! وصاحت السيدة "**إيكسي**" بجنون :

– تعالي بين أحضاني إذن يا ابنتي ! انقضت الأم فجأة على الطفلة تحتويها بين ذراعيها ، وصدرت من داخل الخلوة صرخة أليمة ، وصاح "**راؤول**" :

– "**سيمون**" ! "**سيمون**" ! أحس "**راؤول**" في تلك اللحظة بالسيدة "**إيكسي**" تندفع أمامه ، وسمع صوت المفتاح وهو يدور في الباب ، ثم وقع أقدام تهبط الدرج بسرعة ، وكانت الصرخات التي تعبر عن الألم الشديد لا تزال تتردد من وراء الستائر ، صرخات لم يسمع الشاب مثيلا لها من قبل ، ثم بدأت الصرخات تخفت رويدا رويدا ، ثم سمع الشاب صوت جسم يسقط على الأرض ..

حاول "**راؤول**" بكل ما يملك من قوة أن يخلص نفسه من الحبل الذي يقيده، واستطاع بالقوة الجنونية التي تملكته أن يتخلص من الحبل بصعوبة ، واندفعت إلى الحجرة في نفس الوقت الخادمة العجوز وهي تصيح :

– السيدة ! وصاح "**راؤول**" بدوره :

– "**سيمون**" ! وهجم الاثنان إلى الأمام وجذبا الستائر ، وارتد "**راؤول**" إلى الوراء وهو يقول:

– يا إلهي ! كل جسمها مصبوغ باللون الأحمر .. وقالت "**إيليز**" بصوت مرتعد:

– هكذا ماتت .. انتهى كل شيء .. ولكن قل لي يا سيدي .. ما الذي حدث؟ لماذا ماتت السيدة "**سيمون**" منكمشة .. لماذا انكمشت إلى نصف حجمها

الطبيعي؟ ما الذي حدث لها ؟ وقال "**راؤول**" بشرود :

– لا أدري .. لا أدري .. كان صوته أقرب إلى الصراخ وهو يقول مرة أخرى :

– لا أدري.. لا أدري.. ولكنني أعتقد أنني جننت.. "**سيمون**" ! "**سيمون**" !

- 6 -

المحراب

كانت زوجة القس تقترب من ركن الأبرشية ويداها مملوءتان بأزهار "**الكريزانتيم**" ، بينما يلتصق بحذائها الضخم قدر كبير من الوحل ، كما كان أنفها كذلك ملوثا بالوحل دون أن تفطن إلى ذلك ..

ووجدت زوجة القس بعض العناء في فتح باب الأبرشية الذي علاه الصدأ، وقابلتها نسمة من الهواء البارد ارتعدت لها أطرافها .. وكانت زوجة القس عند تعميدها وهي طفلة قد سميت "**ديانا**" غير أنها اكتسبت منذ طفولتها المبكرة اسم .. "**بانش**" .. الذي ظل يطلق عليها إلى أن أصبحت السيدة "**هارمون**" ..

كان الوقت في الصباح المبكر لأحد أيام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ، والسماء ملبدة بالغيوم مع وجود فجوات زرقاء بين السحب التي تملأ صفحة السماء ، وكان داخل الكنيسة مظلما فلم تكن النار توقد للتدفئة داخل الكنيسة في غير أوقات الصلاة ، وكان على "**بانش**" أن تضع الأزهار في الأصص وترتبها في الأماكن المخصصة لها داخل الكنيسة ، وهمست لنفسها وهي تقوم بتلك المهمة : "كم أتمنى لو كانت أزهار الزنبق بدلا من هذه الأزهار الخشنة " .

أدت "**بانش**" مهمتها بطريقة آلية ليس فيها أثر للابتكار أو الفن ، فلم تكن "**بانش**" نفسها مبتكرة أو فنانة ، وبينما كانت تتجه نحو الهيكل ، بزغت

الشمس، وتسربت أشعتها إلى الكنيسة من خلال النافذة ذات الزجاج الملون .. وكان اللونان الغالبان هما الأزرق والأحمر ، وتغير المنظر في داخل الكنيسة فجأة، وهمست "**بانش**" لنفسها :« إن الضوء يبدو كالجواهر المتلألئة». وغاضت الابتسامة عن فمها وهي تنظر إلى الكتلة السوداء المكومة على درجات المذبح .

وضعت "**بانش**" الأزهار على الأرض بعناية وانحنت على الكتلة المكومة فوجدتها رجلا مكورا على نفسه ، وقلبته بحرص ، وكان وجهه الشاحب ونبضه الضعيف ينبئان بقصته ، قصة رجل يلفظ أنفاسه الأخيرة .

كان الرجل في حوالي الخامسة والأربعين من عمره ، يرتدي حلة سوداء ، ويضع يده على صدره ممسكا بمنديل كبير يضغط به على صدره العريض ، وعلى يده وصدره بقع الدم المتجمد ، وكان الرجل حتى هذه اللحظة مغمض العينين ، ولكنه فتح عينيه فجأة ليقع بصره على وجه "**بانش**" ، ولم تكن عينا الرجل تحملقان أو تستعرضان المكان حوله ومع هذا فقد كانت الحياة تبدو فيهما ويشع منهما بريق ينم عن الذكاء وانفرجت شفتاه قليلا في محاولة للكلام، واقتربت "**بانش**" بأذنيها لتلتقط الكلمات التي يقولها الرجل المحتضر، ولم ينطق الرجل بأكثر من كلمة واحدة : المذبح .. وخيل إليها أنها رأته يبتسم ابتسامة فاترة عندما استطاع أن ينطق بتلك الكلمة ، ولم يكن هناك أدنى شك عندما نطق بالكلمة للمرة الثانية قائلا بوضوح : المذبح .. زاغت عينا الرجل بعد ذلك، ثم أغلق عينيه مرة أخرى . وتحسست "**بانش**" نبضه فوجدته يزداد ضعفا ولكنه كان مستمرا وبصورة متقطعة، وقالت "**بانش**" :

– ابق حيث أنت ولا تحاول النهوض .. سوف آتيك بالطبيب .. فتح الرجل عينيه مرة أخرى ، وبدا أنه يحاول تركيز انتباهه على الضوء الملون الذي يتسرب من النافذة ، وهمس بشيء لم تستطع "**بانش**" أن تتبينه ، وخيل إليها أنه نطق اسم

زوجها، وهمست له قائلة :

– "**جـوليـان**" ؟ هل أتيت لتبـحث عن "**جـوليـان**"؟ لم تتلق "**بانش**" ردا على سؤالها ، فقد أغلق الرجل عينيه وبدأت أنفاسه تتردد في بطء شديد ، وغادرت "**بانش**" الكنيسة مسرعة ، ونظرت إلى ساعة يدها وتنهدت بارتياح ، فلا بد أن يكون الدكتور "**جريفيث**" موجودا في بيته، ولم يكن البيت يبعد كثيرا عن الأبرشية ، ولم تحاول أن تطرق الباب توفيرا للوقت وإنما اقتحمت المكان، وفوجئ الطبيب بها تقول له بلهفة :

– يجب أن تحضر على الفور .. هناك رجل يلفظ أنفاسه الأخيرة داخل الكنيسة

بعد دقائق قليلة كان الطبيب ينحني فوق الرجل المحتضر ، وبعد أن أجرى فحصا سريعا قال لـ"**بانش**" :

– ألا نستطيع أن ننقله إلى داخل الأبرشية .. أعتقد أنني أستطيع أن أوليه عناية أوفر هنالك .. هذا إذا كان يوجد أمل في إنقاذ حياته . وقالت "**بانش**" :

– بالتأكيد .. سوف أعد الترتيبات اللازمة وأنادي "**هاربر**" و "**جونز**" ليعاونا في حمله .

– شكرا لك .. أستطيع أن أستخدم تليفون الأبرشية لاستدعاء الإسعاف ولكنني أخشى ألا يصل في الوقت المناسب . وسألته "**بانش**" بفضول :

– أهو نزيف داخلي ؟ فأوما الطبيب برأسه، وقال :

– كيف استطاع أن يصل إلى هذا المكان ؟

– أعتقد أنه كان هنا طوال الليل لأن "**هاربر**" يفتح باب الكنيسة في الصباح قبل أن يذهب إلى عمله ..

بعد خمس دقائق كان الدكتور "**جريفيث**" يضع سماعة التليفون ويتوجه إلى الحجرة التي أعدت لعلاج الرجل المحتضر ، وكان الرجل راقدا على الأريكة مغمض

العينين ، وقال الطبيب :

– لقد طلبت إرسال نقالة .. كما أنني أخطرت رجال الشرطة .. ووقف الطبيب ينظر إلى الجريح في اكتئاب وكان الرجل لا يزال مغمض العينين وقال :

– أصيب بطلق ناري من مسافة قريبة للغاية ، ووضع الرجل منديله فوق الجرح ليوقف النزيف . وسألته "**بانش**" بفضول :

– هل كان يستطيع أن يمشي مسافة طويلة بعد إصابته ؟

– أوه نعم .. هذا محتمل للغاية .. لقد حدث أن أصيب رجل إصابة قاتلة ومع هذا استطاع أن يمشي شارعا بأكمله كأن شيئا لم يحدث، ثم انهار مرة واحدة بعد خمس أو عشر دقائق .. لهذا فليس من الضروري أن يكون الرجل قد أصيب داخل الكنيسة .. أوه ، كلا .. ربما يكون قد أصيب في مكان بعيد .. وهناك احتمال أن يكون أطلق النار على نفسه، ثم ألقى المسدس وتحامل على نفسه ليصل إلى الكنيسة .. السؤال الذي أحب أن أعرف الإجابة عنه هو : لماذا توجه إلى الكنيسة ولم يذهب إلى الأبرشية ؟ وقالت "**بانش**" :

– أوه .. إنني أعرف السبب .. لقد سمعته يقول : المذبح ! حدق الطبيب في وجهها بدهشة قائلا :

– المذبح ؟ سمعت "**بانش**" وقع خطوات زوجها فنادته ، ودخل القس الحجرة بخطى ثابتة وبدا أكبر من سنه بكثير مع تلك المشية الوقور والملامح الجادة ، وأعرب القس عن دهشته وهو يرى الأدوات الطبية والطبيب والرجل الممدد على الأريكة، ، وشرحت له "**بانش**" الموقف على طريقتها في الإيجاز، قائلة :

– عثرنا عليه في الكنيسة وهو يموت .. لقد أطلق عليه الرصاص . هل تعرفه يا "**جوليان**" ؟ خيل إليّ أنني سمعته يهمس باسمك . تأمل القس الرجل الراقد برهة، ثم هز رأسه قائلا :

– يا للرجل التعس ! كلا لم أره في حياتي من قبل . فتح الرجل المحتضر عينيه في تلك اللحظة ، ونقل نظراته بين الطبيب والقس، ثم ثبت نظراته على وجه "**بانش**" . واقترب منه الطبيب قائلا بلهفة :

– لو أنك استطعت أن تخبرنا . . ظلت عينا الرجل المحتضر مركزتين على وجه "**بانش**" ، ثم قال بصوت بالغ الضعف :

– أرجوك . . أرجوك . . وتأوه الرجل، ثم مال رأسه على جانب، وأسلم الروح.

لعق الرقيب "**هايس**" قلمه وقلب صفحة دفتر المذكرات وهو يقول لـ"**بانش**" :

– أهذا كل ما تستطيعين أن تقدميه لنا من معلومات يا سيدة "**هارمون**" ؟

– هذا كل ما لديَّ . . وهذه هي الأشياء التي كانت في جيوبه .

تأمل الرقيب "**هايس**" متعلقات الميت ، وهي عبارة عن حافظة للنقود ، وساعة قديمة منقوش عليها الحرفان "و" ، "س" ونصف تذكرة قطار للعودة إلى "**لندن**" ، ولا شيء سوى ذلك ، وسألت "**بانش**" :

– هل تعرفتم على شخصيته ؟

– تحدث إلينا بالتليفون السيد والسيدة "**إيكلس**" . . إنه شقيق السيدة "**إيكلس**" على ما يبدو . . اسم العائلة " **ساندبورن**" ، وقالا إن الرجل كان في صحة متدهورة في خلال الفترة الأخيرة وإن أعصابه لم تكن على ما يرام ، وقد زادت حالته الصحية سوءا ، وغادر المنزل في اليوم السابق ولم يعد ، وكان قد أخذ معه مسدس صاحب البيت . وسألت "**بانش**" بدهشة :

– وجاء إلى هنا ليطلق النار على نفسه ؟ ولكن لماذا ؟

– لأنه كما تريْن كان مضطرب الأعصاب و . . قاطعته "**بانش**" قائلة :

– ليس هذا ما أعنيه . . الذي أعنيه لماذا يطلق الرصاص على نفسه هنا ؟

كان من الواضح أن الرقيب "**هايس**" لا يعرف الإجابة عن هذا السؤال ، وقال :

– جاء إلى هنا بسيارة الأتوبيس التي تصل في الساعة الخامسة وعشر دقائق .

وكررت "**بانش**" سؤالها :

– نعم .. ولكن لماذا ؟

– لا أدري يا سيدة "**هارمون**" .. ليس لدينا أي معلومات عن الرجل .. ربما يكون عقله قد اختل . قاطعته "**بانش**" مرة أخرى قائلة :

– كان يستطيع أن ينتحر في أي مكان آخر .. لم يكن من الضروري أن يركب الأتوبيس ويقطع كل تلك المسافة ليصل إلى قرية صغيرة كهذه .. ولم يكن يعرف أحدا من سكان المنطقة ، أليس كذلك ؟

– هذا ما لا نستطيع أن نجزم به .. ربما كان الأمر كما رواه لنا السيد والسيدة "**إيكلس**" .. سوف يأتيان ليلقيا نظرة على الرجل إذا لم يكن لديك مانع.

– ليس لديَّ مانع بالتأكيد .. هذا أمر طبيعي ولكنني كنت أتمنى أن يكون لديَّ شيء أقوله لهما . واستأذن رجل الشرطة في الانصراف ، وقالت "**بانش**" وهي تودعه :

– حمدا لله على أن الأمر ليست فيه جريمة قتل . توقفت سيارة أمام باب الأبرشية وقال الرقيب "**هايس**" :

– يبدو أنهما السيد والسيدة "**إيكلس**" .. وقالت "**بانش**" في شيء من الحيرة:

– إني لا أدري كيف أواجه هذا الموقف الصعب ، ولكني سوف أستعين بـ"**جوليان**" إذا اقتضى الأمر .. رجل الدين يستطيع أن يقول الكلمات المناسبة في مثل هذه الظروف . أحست "**بانش**" بشعور غريب وهي تستقبل السيد والسيدة "**إيكلس**" ، بينما كان الرجل ضخم الجسم، كانت زوجته نحيلة ذات نظرات زائغة، وصوت رفيع رنان ، وقالت السيدة "**إيكلس**" :

– لك أن تتصوري يا سيدة "**هارمون**" كيف كان وقع الصدمة الأليمة علينا .

– أوه .. إنني أعرف ولا شك .. أرجوكم أن تتفضلوا بالجلوس .. هل تحبون أن أقدم لكم شيئا .. لوحت السيدة "**إيكلس**" بيديها قائلة :

– لا لا .. لا شيء إطلاقًا .. إنه كرم زائد منك ولا شك .. لقد جئنا من أجل .. حسن .. لكي نعرف ما قاله "**ويليام**" المسكين في لحظاته الأخيرة..

سكتت السيدة "**إيكلس**" برهة، ثم تابعت حديثها قائلة :

– كان المسكين قد سافر إلى الخارج حيث عاش سنوات طويلة، وأعتقد أنه مرَّ ببعض التجارب الأليمة .. لأنه عاد شديد الاكتئاب وكان يقول إن هذا العالم غير صالح للحياة وليس أمام الإنسان أمل يعيش من أجله .. مسكين "**ويليام**" .. لقد كان يشعر بالمرارة .. ظلت "**بانش**" تنقل بصرها بين الرجل والسيدة دون أن تقول شيئا ، وأردفت السيدة "**إيكلس**" تقول :

– أخذ "**ويليام**" مسدس زوجي دون أن نشعر به ويبدو أنه استقل الأتوبيس ليصل إلى هنا .. لقد كان شعورا طيبا من جانبه أن يختار هذا المكان ، وآثر ألا ينتحر في داخل البيت . وقال السيد "**إيكلس**" :

– يا للفتى المسكين ! يا للفتى التعس ! ساد الصمت برهة قصيرة ، ثم أردف السيد "**إيكلس**" :

– ألم يترك رسالة لنا ؟ أي كلمات أو شيء من هذا ؟ كانت عيناه تنظران إلى "**بانش**" في لهفة ، وكذلك كان الحال مع زوجته التي أرهفت أذنيها استعدادا لسماع الإجابة ، وقالت "**بانش**" بهدوء :

– لا .. لم يترك .. لقد جاء إلى الكنيسة؛ لأنه أحس بدنو أجله .. وقد اتجه ناحية المذبح . وقالت السيدة "**إيكلس**" بدهشة :

– المذبح ؟ إنني لا أفهم السبب .. وقاطعها زوجها قائلا :

– لأنه مكان مقدس يا عزيزتي .. هذا ما تقصده زوجة القس .. قتل النفس إثم

ولعله أراد أن يكفر عن خطيئته . وقالت "**بانش**" :

– لقد حاول أن يقول شيئا قبل أن يموت .. بدأ بقوله : "أرجوك" .. ولكنه لم يستطع أن يقول شيئا .. وضعت السيدة "**إيكلس**" المنديل على عينيها لتمسح دموعها، وقالت بصوت متهدج :

– يا للمسكين .. إنه شيء مؤثر .. أليس كذلك ؟ وقال لها زوجها مواسيا :

– كفى كفى يا "**بام**" .. تمالكي أعصابك .. هذا قدر لم يكن في الإمكان تجنبه.. "**ويلي**" المسكين .. إنه يرقد الآن في سلام .. حسن يا سيدة "**هارمون**" .. شكرا لك ونرجو ألا نكون قد أزعجناك . نحن نعرف أن زوجة القس سيدة مشغولة بأعمال كثيرة . سلمت "**بانش**" عليهما مودعة ، واستدارت السيدة "**إيكلس**" فجأة لتقول بلهفة:

– أوه نعم .. نسينا شيئا آخر .. الحلة التي كان يرتديها ، أليست موجودة؟

وسألت "**بانش**" مقطبة :

– حلته ؟ قالت السيدة "**إيكلس**" :

– نحن نريد متعلقاته .. أنت تعرفين معنى هذه الأمور من الناحية العاطفية .

– كانت معه حافظة نقود وساعة قديمة ونصف تذكرة سفر للعودة إلى "**لندن**" .. وقد سلمت هذه الأشياء للرقيب "**هايس**" .

– لا بأس إذن .. سوف نتسلمها من الشرطي على ما أعتقد .. لا شك في أن أوراقه الخاصة في حافظة النقود . وقالت "**بانش**" :

– لم يكن في الحافظة سوى ورقة مالية من فئة الجنيه لا أكثر .. هزّت "**بانش**" رأسها ، وقالت السيدة "**إيكلس**" :

– شكرا لك مرة أخرى يا سيدة "**هارمون**" .. أعتقد أن الشرطي أخذ الحلة أيضا. سكتت "**بانش**" برهة لتفكر ، ثم أجابت بقولها :

– كلا، لا أظن .. دعيني أتذكر .. لقد نزعت أنا والطبيب الحلة حتى يتمكن الطبيب من فحص الجرح .. ربما أكون قد وضعتها في الحجرة بالطابق العلوي مع المناشف ..

– أرجو ألا يكون لديك مانع يا سيدة "**هارمون**" .. نريد أن نأخذ الحلة .. آخر شيء كان يرتديه المسكين .. نريد أن نحتفظ بها كتذكار للراحل العزيز .

– بالتأكيد .. هل تحبون أن أنظفها لكم أولا ؟

– لا لا .. لا داعي لأن نحملك هذه المشقة . وقالت "**بانش**" مفكرة :

– آه .. إنني لا أذكر .. اسمحوا لي بدقيقة واحدة .. صعدت "**بانش**" السلم وغابت بعض الوقت قبل أن تعود قائلة :

– إنني شديدة الأسف .. يبدو أن الخادمة وضعت الحلة مع بقية الملابس التي تحتاج إلى الغسيل .. وقد احتجت إلى بعض الوقت كي أعثر عليها .. هذه هي الحلة .. هل تحبون أن أضعها في ورق اللف؟

ورغم اعتراض السيد والسيدة "**إيكلس**" استمرت "**بانش**" في أداء مهمتها ، ولم يكد الرجل وزوجته يأخذان اللفافة حتى أسرعا بمغادرة المكان ، وعادت "**بانش**" إلى غرفة المكتب حيث كان يجلس زوجها مشغولا بإعداد موعظة يوم الأحد ، وسألته "**بانش**" بفضول :

– ماذا تعني كلمة المذبح يا "**جوليان**" ؟ وقال القس بصوت هادئ :

– حسن .. المذبح كلمة كانت معروفة عند الإغريق والرومان .. وكانت الكلمة تطلق على المكان الذي يوضع فيه تمثال الآلهة .. أما الكلمة في اللاتينية فتعني الحماية . قبلت "**بانش**" زوجها وهي تقول له :

– عزيزي .. كم أنت رائع ! خامر "**جوليان**" إحساس بأن زوجته تدلله كما تدلل الكلب عندما يؤدي لعبة ذكية ، وقالت "**بانش**" :

– جاء السيد والسيدة "**إيكلس**" منذ قليل . قطب القس جبينه وقال بدهشة:

– "**إيكلس**" ؟ لا أعتقد أنني أذكر ..

– إنك لا تعرفهما .. إنها أخت الرجل الميت وزوجها ..

– كان ينبغي لك أن تناديني .

– لم يكن هناك ما يدعو لذلك .. فلم يكونا ليحتاجا إلى العزاء .. إنني لفي دهشة الآن .. وسكتت برهة، ثم قالت :

– أعتقد أنني مضطرة إلى الذهاب إلى "**لندن**" غدا لشراء بعض اللوازم ، بعض الأغطية والمناشف ، كما أنني سوف أنتهز الفرصة لزيارة العمة "**جين**" . كانت العمة "**جين**" – الآنسة "**جين ماربل**" – تستمتع بالإقامة لمدة أسبوعين في العاصمة في المسكن الخاص بابنة خالتها ، وقالت "لـ"**بانش**" :

– كان لطيفا من العزيز "**ريموند**" وابنة خالتي "**جون**" أن يسافرا لقضاء أسبوعين في "**أمريكا**" ويدعوانني لقضاء هذه الفترة في هذا المسكن المريح .. ولكنني أراك مهمومة يا عزيزتي "**بانش**" .. ما الذي يقلقك ؟

كانت "**بانش**" الابنة الروحية المقربة للآنسة "**ماربل**" ، وكانت السيدة العجوز تشعر بالإعزاز والتقدير لـ"**بانش**" ، ومضت "**بانش**" تروي القصة بدقة ودون أن تترك أدق التفاصيل ، وعندما انتهت من قصتها قالت الآنسة "**ماربل**" :

– أهكذا .. إنني أعرف الآن سبب قلقك .

– كان هذا هو السبب الذي دفعني إلى المجيء؛ لأنك أكثر ذكاء وأقدر على ....

– ولكنك تتمتعين بالذكاء يا عزيزتي .

– كلا ، لست على درجة عالية من الذكاء .. لست على مثل درجة "**جوليان**" من الذكاء . وقالت الآنسة "**ماربل**" ضاحكة :

– "**جوليان**" ؟ آه بالتأكيد .. إنه يتمتع بذكاء خارق . وقالت "**بانش**" :

– "**جوليان** يتمتع بالذكاء وأنا أتمتع بالإحساس .

– أنت تتمتعين بمشاعر مرهفة يا "**بانش**" .. كما أنك ذكية أيضا .

– إنني لا أعرف سوى ما ينبغي أن أفعله .. لم يكن باستطاعتي أن أطلب من "**جوليان**" .. حسن .. أعني أن "**جوليان**" شديد الاستقامة ..

كان من الواضح أن الآنسة "**ماربل**" تفهم معنى تلك الكلمات جيدا؛ لأنها قالت على الفور :

– إنني أعرف ما تقصدينه يا عزيزتي .. إن الأمر يختلف بالنسبة إلينا نحن النساء .. لقد أخبرتني بما حدث يا "**بانش**" ، ولكنني أود أن أعرف أولا ما تفكرين فيه .

– يبدو لي الأمر غير سليم منذ البداية .. كان ذلك الرجل الذي يحتضر في الكنيسة يعرف كل شيء عن المذبح .. كان يتحدث بنفس الأسلوب الذي يمكن أن يتحدث به "**جوليان** .. أعني أنه رجل متعلم ، ولو أن الرجل أطلق الرصاص على نفسه لما دخل الكنيسة لينطق بكلمة "المذبح" .. فكلمة المذبح تعني أن الإنسان مطارد وأنه في حاجة إلى الحماية .. إلى الالتجاء إلى مكان مقدس لا يجرؤ المطاردون على اقتحامه ..

نظرت "**بانش**" باهتمام إلى الآنسة "**ماربل**" لترى أثر تلك الكلمات على السيدة، وهزت الآنسة "**ماربل**" رأسها مؤمِّنة ، وتابعت "**بانش**" حديثها قائلة :

– أما هؤلاء الناس ، السيد والسيدة "**إيكلس**" فقد كانا من طراز مختلف . من الواضح أنهما من الجهلة خشني الطباع . وهناك أمر آخر .. الحروف المنقوشة على الساعة .. كان الحرفان المنقوشان على ظهر الساعة "و" ، "س" وعندما فتحت ساعة الرجل الميت من الداخل كان مكتوبا عليها (إلى "**والتر**" من أبيه) .. ثم تاريخ الإهداء .. ولكن السيد والسيدة "**إيكلس**" كانا يطلقان عليه تارة اسم "**ويلي**" وتارة أخرى اسم "**ويليام**" .

– تقصدين أن السيدة لم تكن أخته ؟

– إني واثقة من أنها ليست أخته .. كان منظرهما بشعا .. والاثنان .. لقد جاءا إلى الأبرشية بهدف معرفة ما إذا كان الرجل قد قال شيئا قبل وفاته ، وعندما ذكرت لهما أن الرجل لم يقل شيئا بدا عليهما الارتياح .. أنا شخصيا أرى أن "**إيكلس**" هو الذي أطلق عليه الرصاص . وصاحت الآنسة "**ماربل**" في ارتياع :

– جريمة قتل ؟

– نعم .. جريمة قتل .. وهذا هو السبب الذي دفعني إلى المجيء طلبا لمعونتك. لو أن المستمع إلى كلمات "**بانش**" كان شخصا آخر غير الآنسة "**ماربل**" لاعتبر تلك الكلمات جوفاء لا معنى لها ، ولكن الآنسة "**ماربل**" كانت معروفة بالميل إلى حل الجرائم ولها خبرة سابقة ، ومن ثم فقد أصغت لـ"**بانش**" باهتمام. واسترسلت "**بانش**" قائلة :

– قال الرجل قبل أن يموت "أرجوك" . كان يريد مني أن أؤدي له خدمة معينة، ولكن الشيء المؤلم أنني لا أعرف الخدمة التي كان يريدها . استغرقت الآنسة "**ماربل**" في التفكير برهة، ثم قالت :

– ولكن لماذا جاء الرجل إلى هذه الكنيسة بعينها ؟

– تعنين أن الرجل الذي يطلب الحماية يمكن أن يلجأ إلى أي كنيسة .. وأنه لا يحتاج إلى أن يركب الأتوبيس ليقطع تلك المسافة الطويلة ويحضر إلى مكان منعزل كهذا ؟

– نعم .. لهذا يكون الرجل قد جاء لغرض معين .. وربما ليقابل شخصا بعينه .. وليس "**شيبينج كليجهورن**" بالمكان الكبير يا "**بانش**" .. ومن ثم لابد من أن تكون لديه فكرة عن الشخص الذي كان يقصده . سكتت "**بانش**" هنيهة وهي تستعرض أسماء أهل القرية في ذهنها، وقالت في النهاية :

– قد يكون أي فرد . .

– ألم يذكر اسما معينا ؟

– ذكر اسم "**جوليان**"، أو هذا ما خيل إليّ أنني سمعته . . ربما يكون الاسم "**جوليا**" . . ولكنني لا أعرف واحدة في "**شيبينج كليجهورن**" تدعى "**جوليا**" .

عادت "**بانش**" إلى صمتها مرة أخرى وهي تسترجع الذكريات منذ وقع بصرها للوهلة الأولى على الرجل وتذكرت النافذة الزجاجية وأشعة الشمس، ثم قالت فجأة :

– لعله قال "**جيويلز**" (الجواهر)؛ إذ كان الضوء الذي يتسرب من النافذة الملونة يوحي بالجواهر ذات اللونين الأحمر والأزرق . وقالت العجوز بدورها :

– "**جيويلز**" ؟

– سوف أروي لك الآن السبب المهم الذي دفعني إلى طلب معونتك . . لقد كان السيد والسيدة "**إيكلس**" حريصين بشكل ملفت للنظر على الحصول على حلة الرجل المتوفى ، وكنت قد خلعت سترة الرجل بمساعدة الطبيب حتى يتمكن من معاينة الجرح واستخراج الرصاصة التي استقرت في صدره . . كانت سترة قديمة بالية ولم تكن جديرة بأن تحظى بكل ذلك الاهتمام من جانب الرجل وزوجته ، فكانا يدعيان أنها مسألة عاطفية ولكنني لم أصدق ذلك . . ورغم ذلك فقد استجبت لرغبتهما وذهبت أبحث عن السترة ، وتذكرت كيف كان الرجل قبل موته يضغط بيده على جيوبه، لهذا فقد كنت حريصة على أن أفحص السترة بعناية ، واكتشفت أن جزءا من البطانة مثبت بنوع من الخيط مخالف لبقية البطانة، وحللت ذلك الخيط لأرى ورقة في داخل البطانة ، وأخفيت الورقة، ثم أعدت تثبيت البطانة بخيط مشابه حتى لا يفطن "**إيكلس**" إلى ذلك، ثم أعدت السترة للرجل وزوجته وكان ذلك سبب تأخري عليهم بعض الوقت . وسألت الآنسة

"**ماربل**" باهتمام :

– وماذا بشأن تلك الورقة !

– لم أطلع "**جوليان**" عليها بالتأكيد لأنه كان سيسألني لماذا لم أسلمها لـ"**إيكلس**" ، ولهذا فكرت في أن أعرضها عليك .. واكتشفت الآنسة "**ماربل**" أن الورقة عبارة عن إيصال بإيداع حقيبة في مخزن الأمانات بمحطة "**بادنجتون**" ، وقالت "**بانش**" :

– ولكننا عثرنا في جيبه الخارجي على نصف تذكرة للعودة إلى "**بادنجتون**" .

قالت الآنسة "**ماربل**" :

– هذا الأمر يحتاج إلى تصرف سريع ولكن يجب أن نكون حذرين .. هل تأكدت يا "**بانش**" من أن أحدا لم يتبعك وأنت قادمة إلى هذا المكان ؟ قالت "**بانش**" بدهشة :

– هذا محتمل .. ذهبت السيدتان إلى السوق لشراء الأدوات التي تذرعت "**بانش**" بالقدوم إلى "**لندن**" من أجلها ، وطلبت الآنسة "**ماربل**" من "**بانش**" أن تسأل في قسم شرطة القرية عن مفتش البوليس الشاب الذي يعرفها جيدا بعد أن اتفقت معها على ما يمكن ترتيبه .. وفي محطة "**بادنجتون**" قدمت "**بانش**" الإيصال إلى الموظف المختص وتسلمت حقيبة قديمة حملتها وسارت نحو الرصيف ، ومرت رحلة العودة بسلام ، وبينما كانت "**بانش**" تحمل الحقيبة استعدادا لمغادرة المحطة، اعترض طريقها رجل اختطف الحقيبة وانطلق إلى خارج المحطة بأقصى سرعة حيث كانت سيارة تنتظره ، وصرخت "**بانش**" ، وفي نفس الوقت انقض الكونستابل "**أبيل**" على الرجل وأمسكه قبل أن تنطلق السيارة ، وادعى الرجل أن الحقيبة تخصه ، بينما أصرت "**بانش**" على أنها حقيبتها ، وسأل الكونستابل الرجل عما تضمه الحقيبة، فقال إنها ملابس للمسرح ، بينما قالت

"**بانش**" إن فيها بعض الأغطية والمناشف ، ودخل الكونستابل إلى المحطة وفتح الحقيبة ، واتضح أنها تضم أغطية ومناشف ، وقال الرجل :

– إنني آسف يا سيدتي .. كانت غلطة غير مقصودة .. ونظر الرجل إلى ساعته، وقال :

– لا شك في أنني نسيت حقيبتي في القطار ، لابد من أن أسرع لألحق به . وسألت "**بانش**" الكونستابل عن سبب تركه الرجل يمضي في سلام ولكنه قال لها باسما :

– لن يبتعد كثيرا يا سيدتي .. أعني لن يبتعد دون مراقبة من رجالنا .. لقد اتصلت بنا الآنسة "**ماربل**" وكانت قد تعاونت معنا منذ بضع سنوات في الكشف عن سر إحدى الجرائم .. وسوف يلتقي بك المفتش أيضا لأنه يعرفها معرفة جيدة.. والتقت "**بانش**" بالمفتش الشاب الذي حدثتها عنه الآنسة "**ماربل**"، وقال لها المفتش :

– كنا نضع السيد والسيدة "**إيكلس**" تحت المراقبة منذ بعض الوقت ، فقد كانت لدينا أدلة تشير إلى أنهما يشتركان في عصابة قامت بعدة سرقات في هذه المنطقة ، ولسبب آخر هو أن للسيدة "**إيكلس**" شقيق يدعي "**ساندبورن**" عاد من الخارج ، والرجل الذي عثرتم عليه بالأمس ميتا في الكنيسة ليس "**ساندبورن**" بكل تأكيد .. وقالت "**بانش**" باسمة :

– كنت أعرف ذلك لأن اسمه "**والتر**" وليس "**ويليام**" . هزَّ المفتش رأسه وقال:

– اسمه "**والتر سانت جون**" وقد هرب من سجن "**شارنجتون**" .

– آه بالتأكيد .. كان فارا من وجه العدالة والتجأ إلى الكنيسة .. ولكن ما هي جريمته ؟

– تبدأ القصة منذ بضع سنوات عندما كانت إحدى الراقصات تؤدي رقصة

شرقية تطلق عليها اسم (علاء الدين في كهف الجواهر) مرتدية فستانا محلى بقطع من الزجاج الملون ، إلى أن أهداها أمير شرقي عقدا من الزمرد ، وأبلغت الراقصة عن سرقة العقد ، وفشلت جميع الجهود في العثور عليه ، وبدأت الأنظار تتجه إلى ذلك الرجل "**والتر سانت جون**" في الوقت الذي كان رجال الشرطة يجرون تحرياتهم عن العقد المسروق ، وكان الرجل يعمل في مصنع لتشكيل الجواهر ، وكان لذلك المصنع سمعة سيئة في أنه يعمل في مجال الجواهر المسروقة ، واعتقل "**والتر**" وحكم عليه بالسجن في قضية أخرى، وكادت مدة العقوبة تنتهي عندما هرب فجأة من السجن . . وتوجه إلى "**لندن**" إلا أنه لم يذهب إلى واحد من شركائه القدامى ، بل قابل سيدة تدعى السيدة "**جاكوبز**" وكانت تعمل مصممة أزياء ، للمسرح ورفضت السيدة أن تكشف عن أسباب تلك الزيارة ، إلا أنها قالت إن "**والتر**" غادر المكان حاملا حقيبة قديمة . وقالت "**بانش**" :

– الحقيبة التي تركها في مخزن أمانات محطة "**بادنجتون**" ؟

– نعم . . وكان "**إيكلس**" ورجل يدعى "**إيدوين موس**" يقتفيان أثر "**والتر سانت جون**" ليستوليا على الحقيبة ، وشاهداه يركب الأتوبيس ، وركبا سيارة انطلقت بأقصى سرعة ليلحقا به . وقتله "**إيكلس**" بمسدسه ، والشيء الذي نريد أن نعرفه الآن هو أين تلك الحقيبة التي تركها "**والتر**" في الأمانات.

– هذه الحقيبة مع الآنسة "**ماربل**" الآن . . بعد أن تسلمت الحقيبة أرسلت الآنسة "**ماربل**" خادمة لنتبادل الحقائب اعتقادا منها أن محاولة سوف تبذل لاختطاف الحقيبة مني .

– سوف أسافر إلى "**لندن**" لأراها . هل تحبين أن تسافري معي ؟

– من حسن الحظ أن إحدى أسناني تؤلمني وأعتقد أنها فرصة مناسبة لزيارة طبيب الأسنان . .

استقبلت الآنسة "**ماربل**" المفتش و "**بانش**" بترحيب قائلة إنها لم تفتح الحقيبة ولما فتحها المفتش اكتشف أنها تضم بذلة الرقص التي كانت الراقصة ترتديها، وكانت البذلة مزينة بما كان يبدو أنه أحجار ملونة واتضح أنه الزمرد الذي انتزع من العقد الذي ادعت الراقصة أنه سرق ، وكان في الحقيبة أوراق أخرى ، وكانت إحداها شهادة زواج "**والتر**" من الراقصة ، وأخرى هي شهادة ميلاد ابنة لهما تسمى "**جيويل**" وصاحت "**بانش**" :

– "**جيويل**" .. "**جيويل**" .. هذا هو الاسم الذي كان يردده الرجل بالفعل .. إنني أعرف الآن سبب مجيئه إلى "**شيبينج كليجهورن**" .. كان يريد أن يرى "**جيويل**" .. إنها طفلة تعيش مع أسرة "**مانديس**" في "**لابورانام**" ، وهم يقومون بتربيتها ولكن السيدة "**مانديس**" أصيبت بالشلل بينما أصيب زوجها بالتهاب رئوي وكانت هناك فكرة لنقلهما إلى المصحة . وقال المفتش :

– أعتقد أن "**والتر**" سمع بتلك القصة ومن ثم هرب من السجن واسترد الحقيبة التي تضم جواهر زوجته .. على أي حال أصبحت تلك الثروة من حق الابنة .. في صباح اليوم التالي كانت "**بانش**" تحمل باقة من أزهار "**الكريزانتيم**" إلى الكنيسة وكانت أشعة الشمس تتسرب من النافذة الزجاجية الملونة ، فتذكرت "**بانش**" الرجل الذي مات، وقالت كأنما تحدث الأب الراحل :

– سوف تكون ابنتك بخير .. أقسم لك أنني سوف أسهر على رعايتها ..



- 7 -

جريمة قتل

نظر "**بوارو**" إلى الرجل الجالس أمامه ..

إنه الدكتور "**تشارلس أولدفيلد**" .. في الأربعين من عمره رمادي الشعر ذو عينين زرقاوين لا تكادان تستقران في موضعهما . قال الدكتور بعد تردد قصير:

– لقد حضرت إليك يا سيد "**بوارو**" برجاء . ويحسن أن أفضي إليك هنا بكل شيء لأني متأكد من أن مسألتي تكاد تكون مستعصية .. ! فأجاب "**بوارو**" :

– ربما أتمكن من مساعدتك .. حسنا .. حدثني عن مشكلتك . فاعتدل الدكتور "**أولدفيلد**"، وقال :

– من الحماقة أن يلجأ الإنسان أحيانا إلى البوليس .. فكثيرا ما يفشل رجاله في القضايا المهمة .. وكل يوم يمر علينا تزداد الحالة سوءا ..

– ما هي تلك الحالة التي تزداد سوءا ؟

– الإشاعات يا سيدي تزيد موقفي حرجا .. فمنذ عام تقريبا ماتت زوجتي بعد مرض عضال لازمها سنين عديدة ، ولكن الناس يشيعون أني قتلتها بالسم!

فقال "**بوارو**" :

– آه .. ولكن هل دسست لها السم ؟ فنهض الدكتور "**أولدفيلد**" مذعورا، وقال :

– سيد "**بوارو**" .. !

– اجلس ودعنا نبحث كل شيء . أنت لم تدس السم لزوجتك .. أظن أن مركز عملك في الريف .. ؟

– نعم ، في "**لوجيدو**" بمقاطعة "**بركشير**" .. أكثر الأمكنة صلاحية للإشاعات

حيث ترعى وتكبر وتتضخم في سهولة ويسر . واقترب الدكتور بمقعده قليلا واستمر يقول :

– ليست لديك فكرة يا سيد "**بوارو**" عما أعانيه .. فإني لم أقم وزنا لما كنت أسمعه في أول الأمر . ولكن كلما مرت الأيام ازداد نفور الناس مني .. وفي الشارع أرى العابرين يحاولون تجنبي .. وأينما ذهبت وجدت الناس يتهامسون عليّ وينظرون إليّ شزرا قائلين بصوت أكاد أسمعه إنني سفاك أثيم .. وأخيرا وصلني خطاب أو خطابان . ثم صمت قليلا وعاد يقول :

– لا أدري ماذا أفعل إزاء هذه الحالة، ولا كيف أحارب هذه الأكاذيب .. كيف يدحض الإنسان أقوالا لا يواجهه بها مخترعوها .. إني ضعيف أعزل . وقد تكسرت النصال على النصال في قلبي الدامي حتى صرت حطاما .. فهزّ "**بوارو**" رأسه، وقال :

– نعم ، الإشاعات في الحقيقة تشبه أفعوان "**ليزينيا**" ذا الرؤوس السبعة .. كلما قطعت رأسا نبت في مكانه رأسان ! فقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– هذه هي الحقيقة.. ولقد عجزت وأسقط في يدي؛ ولهذا لجأت إليك في النهاية. ولكني لا أزال ضعيف الأمل في النجاح ! فصمت "**بوارو**" لحظة، ثم قال:

– لست متأكدا إذا كنت سأجد في قضيتك ما يحفزني على الاستمرار في تحقيقها .. ولكني أشعر برغبة قوية في الفتك بهذا الأفعوان الخطير الذي يؤرق جفونك .. أخبرني قبل كل شيء عن الظروف التي ساعدت هذه الإشاعات على الانتشار . لقد ماتت زوجتك منذ عام تقريبا فما هو سبب وفاتها ؟

– قرحة في المعدة ..

– هل تم فحص الجثة ؟

– لا .. لأنها كانت تعاني هذا المرض منذ أمد طويل ! فهزّ "**بوارو**" رأسه، وقال:

ـ إن الشبه قريب جدا بين أعراض التسمم بالزرنيخ وأعراض قرحة المعدة، وهذه حقيقة لا يكاد يجهلها أحد في هذه الأيام .. وفي السنوات العشر الأخيرة حدثت أربع وفيات وتم الدفن دون معارضة أو شبهة لوجود شهادات طبية جاء فيها أن الوفاة كانت بسبب قرحة في المعدة .. ! هل كانت زوجتك أكبر منك سنا ؟

ـ كانت تكبرني بخمس سنوات .

ـ متى تزوجتها ؟

ـ منذ خمسة عشر عاما .

ـ هل كانت تملك ثروة ؟

ـ نعم كانت غنية .. وبلغت تركتها حوالي ثلاثين ألف جنيه .. !

ـ تركة هائلة .. وقد آلت إليك بالتأكيد ؟

ـ نعم !

ـ هل كنتما على وفاق في أثناء حياتها ؟

ـ بالتأكيد .. !

ـ ألم يحدث بينكما شجار ؟ فقال الدكتور "**أولدفيلد**" بعد تردد قليل :

ـ كانت زوجتي قوية المراس خشنة الطبع . وكانت بالنسبة إلى مرضها لا يعنيها من هذه الحياة إلا صحتها . ولهذا كانت دائمة الغضب؛ تتصور أن جميع أعمالي بعيدة عن الصواب ! فقال "**بوارو**" :

ـ آه ، فهمت ..! ربما كانت تشكو إهمالك لها وعدم تقديرها .. وأن زوجها قد تعب من طول مرضها وأصبح يتمنى لها الموت .. ؟ ! فلاح على وجه الدكتور "**أولدفيلد**" ما يؤيد هذا الاستنتاج، وقال وهو يبتسم :

ـ لقد أصبت كبد الحقيقة يا سيد "**بوارو**" . ومضى "**بوارو**" يقول :

ـ هل كان لديها ممرضة تعنى بأمرها ؟

– نعم .. ممرضة ماهرة وقليلة الكلام .. لا تحب التدخل فيما لا يعنيها !

– ولكنها مجرد امرأة .. ومهما كان ظاهرها يدل على الرزانة والصمت فهي تحب الكلام ، لأن الطبيعة أردات لها ذلك . ولا بد للثرثارة أن تخطئ .. فالممرضة تثرثر والخادمة تثرثر ، حتى تجد هذه الثرثرة طريقها المعبد إلى أوباش القرية وغوغائها .. هل يمكنني أن أعرف من تكون السيدة .. ؟ فلاح الغضب على وجه الدكتور "**أولدفيلد**" . وقال :

– لست أفهم ما تعني . فقال "**بوارو**" بهدوء :

– أعتقد أنك تفهم .. من هي السيدة التي اقترن اسمها بهذه الإشاعات ؟

فنهض الدكتور "**أولدفيلد**" وهو محتقن الوجه، وقال :

– ليس في القضية أي ظل لامرأة .. وأنا آسف يا سيد "**بوارو**" لإضاعة وقتك . ثم توجه إلى الباب فقال "**بوارو**" :

– وأنا آسف أيضا، لأنه يهمني أن أساعدك بشرط أن تخبرني بالحقيقة .. !

– لقد أخبرتك .. !

– كلا .. فوقف الدكتور "**أولدفيلد**" والتفت إليه، وقال :

– لماذا تصر على وجود سيدة في هذه القضية ؟

– أتظن يا سيدي الدكتور أني أجهل عقلية المرأة .. إن الإشاعات في القرى لا تروج إلا في حوادث النساء .. فإذا سمم الرجل زوجته مثلا ليقوم برحلة إلى القطب الشمالي وحيدا .. فإن أحدا لن يضايقه أو يكدر صفوه .. ولكنه يصبح في نظر عشيرته بغيضا آثما وتستشري الإشاعة ويشيب قرناها في الريف عندما يرتابون في موت الزوجة التي يتزوج أرملها بعد وفاتها .. هذه ظاهرة نفسية عامة .... فقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– لا يهمني ما يجول في أذهان هؤلاء الأوغاد .. ! فقال "**بوارو**" :

– عد إذن واجلس في مكانك وأجب عن سؤالي .. فعاد الدكتور "**أولدفيلد**" ببطء إلى مكانه، وقال :

– أظنهم تناولوا في أحاديثهم الخرقاء سكرتيرتي "**جان مونكريف**" !

– هل لها في خدمتك وقت طويل ؟

– ثلاث سنوات تقريبا !

– هل كانت زوجتك تحبها ؟

– لم تحبها كما يجب .

– هل كانت تغار منها ؟

– كانت من هذه الناحية في منتهى الغموض . فابتسم السيد "**بوارو**"، وقال :

– غيرة الزوجات من الأمور الشائعة . وقد علمتني التجارب أن الغيرة لا توجد عندهن دون أسباب حقيقية . وبالمثل تكون غيرة الرجال على زوجاتهم، فلابد للغيرة عند الجنسين من وجود دوافع قوية ولا دخان من غير نار . ثم انحنى إلى الأمام قليلا وقال وهو يضغط على كلماته :

– سأبذل قصارى جهدي في قضيتك يا دكتور، لكن يجب أن تصارحني بكل شيء . فهل حقا أنك أهملت العناية بزوجتك قبل موتها ؟ فصمت الدكتور "**أولدفيلد**" لحظة، ثم قال :

– أعتقد أنك ستصنع شيئا من أجلي يا سيد "**بوارو**" ولهذا سأتوخى معك الأمانة . الحق أنني لم أعن بزوجتي كما يجب .. كنت لها زوجا طيبا ولكنني لم أشعر نحوها بحب حقيقي !

– وهذه الفتاة "**جان**" ؟ فتفصد جبين الدكتور بالعرق، وقال :

– ربما كنت تزوجتها لولا هذه الشائعات الوقحة ! فقال "**بوارو**" :

– لقد وضحت لي قضيتك الآن يا دكتور وسأتولاها . ولكن يجب ألا تنسى

أنني سأقوم بالبحث والتحقيق .. فقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– ولكنني أخشى أن يؤذيني بحثك .. ! ثم صمت لحظة كالمتردد، وقال :

– إنني في الواقع لا أستطيع أن أتهم شخصا بعينه . ولهذا أخشى أن تقع التهمة على عاتقي وأصبح في مركز أسوأ مما أنا فيه الآن . ثم حملق إلى وجه "**بوارو** "، وقال :

– أرجو أن تخبرني بكل صراحة عما إذا كان يوجد مخرج من هذه الورطة .

فقال "**بوارو**" :

– لابد من وجود مخرج ! قال "**هركيول بوارو**" لخادمه الخاص :

– سنذهب إلى الريف يا "**جورج**" .

– أحقا هذا يا سيدي ؟

– مهمتنا هذه المرة هي تحطيم أفعوان له سبعة رؤوس !

– يخيل إليّ أنه أفعوان خطير يا سيدي .

– لست أقصد الأفعوان من حيث هو دم ولحم !

– إني لا أفهم ماذا تعني يا سيدي ؟

– كنت أتمنى لو كان هدفنا أفعوانا حقيقيا . ولكن عدونا هذه المرة شيء مجهول خلق جوا من الشائعات القاتلة !

– نعم . من الصعب يا سيدي أن يعرف الإنسان كيف تتكون الأشياء ويبدأ وجودها ..

لم يذهب "**بوارو**" إلى منزل الدكتور "**أولدفيلد**"، بل قصد إلى فندق عام . وفي صبيحة يوم وصوله قابل "**جان مونكريف**" . كانت فتاة هيفاء نحيلة القد ذهبية الشعر زرقاء العينين تبدو على ملامحها اليقظة والانتباه . قالت :

– لقد ذهب إليك الدكتور "**أولدفيلد**" . لقد علمت أنه كان يفكر في

ذلك! فقال "**بوارو**" :

– وأنت ؟ ألم تستحسني ذلك ؟ فالتقت عيناها بعينيه، وقالت ببرود :

– ما الذي يمكنك أن تفعله ؟ فقال "**بوارو**" :

– توجد طريقة واحدة للكلام في هذا الموضوع . فقالت "**جان مونكريف**" باحتقار :

– أية طريقة ؟ هل تعني أنك ستحاول الذهاب إلى جميع عجائز القرية لترجوهن الكف عن ترويج هذه الشائعات، لأنها تضر الدكتور "**أولدفيلد**" ؟ ربما يجبنك بأنهن لا يصدقن الحكاية .إن سبب وفاة السيدة "**أولدفيلد**" يدعو إلى الريبة. ولكنهن مع ذلك لا يتهمن الدكتور بسوء إلا لسبب واحد هو إهماله لزوجته واستخدامه لفتاة شابة . فقال "**بوارو**" :

– يخيل إليّ أنك تعرفين جيدا ما تلوكه الألسنة ؟

– نعم أعرف كل شيء !

– وما الحل الذي ترينْه ؟ فقالت "**جان مونكريف**" :

– الحل الوحيد هو أن يبيع عيادته ويرحل عن القرية !

– ألا تظنين أن الشائعات ستتبعه حيثما ذهب ؟ فهزت كتفيها وقالت :

– يجب أن يقدر ذلك ! فصمت "**بوارو**" قليلا، ثم قال :

– هل ستتزوجين الدكتور **أولدفيلد**" ؟ فلم تبد الدهشة على وجهها لهذا السؤال، وقالت :

– لم يطلب مني ذلك .

– لماذا ؟ فرنت إليه بعينيها الزرقاوين، وقالت :

– لأني صدمته !

– من أكبر النعم أن يجد الإنسان شخصا في صراحتك !

– سأكون صريحة معك أكثر مما ينبغي . عندما علمت أن الناس أخذوا يشيعون أن الدكتور تخلص من زوجته ليقترن بي أدركت أن زواجنا سيحقق حدس الناس وتخمينهم؛ ولهذا رجوته ألا يجري بيننا حديث عن الزواج لتموت الشائعات قبل أن تبيض وتفرخ !

– ولكن الشائعات لم تمت ؟

– نعم ! فسألها "**بوارو**" :

– هل تريدين الزواج من الدكتور ؟

– نعم ..

– إذاً فقد كان موت زوجته مفيدا لك ؟ فقالت "**جان**" :

– لقد كانت السيدة "**أولدفيلد**" منقبضة المزاج لا تسر من يعاشرها ولا أكتمك أني سررت كثيرا لموتها ..

– أنت صريحة أكثر مما ينبغي . فابتسمت "**جان**" ابتسامة تمتزج بالاحتقار . وقال "**بوارو**" :

– لديَّ اقتراح ..

– نعم ؟

– المسألة تحتاج إلى عمل سريع حاسم . أقترح أن يقدم بلاغ من أي شخص – ولتكوني أنت مقدمة هذا البلاغ – إلى وزارة الداخلية .

– ماذا تعني بهذا الاقتراح الخطير ؟

– أعني أننا نريد قطع دابر هذه الشائعات بطلب تشريح الجثة . فتراجعت الفتاة خطوة إلى الوراء وفغرت فاها . وقال "**بوارو**" :

– حسنا ، ما رأيك ؟ فقالت "**جان**" بهدوء :

– ولكنني لا أوافقك .

– لماذا ؟ إذا أثبت التشريح أن الوفاة طبيعية خرست الألسنة !

– هذا حقيقي .. إذا أمكن الإثبات !

– هل تدركين يا آنستي ماذا تعنين ؟ فقالت "**جان**" في شيء من الاضطراب :

– إني أفهم ما أقول . فأنت تظن أن الوفاة حدثت من تسمم بالزرنيخ، ولكن يوجد نوع آخر من السم لا يظهر أثره بعد مضي عام .. فإذا قال المحققون إن التشريح أثبت أن الوفاة لم تحدث عن شيء غير طبيعي ، انطلقت الألسنة من عقالها أكثر من ذي قبل .. ! فصمت "**بوارو**" قليلا، ثم قال :

– من تظنينه أطول الناس لسانا في هذه القرية ؟ وأخذت "**جان**" تفكر، ثم قالت :

– أظن أنها السيدة "**ليتران**" ، السيدة العجوز . فهي أخطر مروجة للشائعات .

– هل يمكنك أن تسهلي لي مقابلة السيدة "**ليتران**" ؟

– نعم . وخاصة في هذه اللحظة من الصباح حيث يخرج نساء القرية للتسوق .

ولم يكن في الأمر أية صعوبة كما قالت "**جان**" ، فقد وقفت فجأة أمام مكتب البريد تتحدث إلى سيدة طويلة حادة الأنف براقة العينين، وقالت :

– طاب صباحك يا سيدة "**ليتران**" .

– طاب صباحك يا "**جان**" . الجو صحو اليوم ! وأخذت السيدة تصوب عينيها الفاحصتين نحو الشخص المرافق لـ"**جان**" .. فقالت هذه :

– أقدم إليك السيد "**بوارو**" . نزيل قريتنا لبضعة أيام . سألته السيدة "**ليتران**" ذات يوم وقد أصبحت غير قادرة على كتمان فضولها لمعرفة سبب إقامته في القرية . فوجد "**بوارو**" أن الفرصة سانحة للحديث، فقال :

– أعتقد أنك سيدة ماهرة يا آنسة "**ليتران**" لأنك استطعت أن تستنتجي السبب في وجودي هنا . لقد حضرت بأمر وزارة الداخلية . ثم خفض صوته وقال :

– ولكن أرجوك ألا تبوحي بهذا السر لأي شخص ! فقالت السيدة "**ليتران**" :

– بالتأكيد . . وزارة الداخلية . ولكنكم لا تقصدون السيدة "**أولدفيلد**" ؟

فهز "**بوارو**" رأسه عدة مرات، ثم قال :

– إن الموضوع جد خطير . . وقد أمرتني الوزارة بالتحري عما إذا كانت المسألة تحتاج إلى إخراج الجثة لتشريحها . فقالت الآنسة "**ليتران**" بارتياع :

– يا للفظاعة ! ستنبشون القبر لإخراج رفات بالٍ ؟ !

– ما رأيك يا آنسة "**ليتران**" ؟

– لقد لاكت الألسنة هذا الموضوع كثيرا يا سيد "**بوارو**"، ولكني لا أصدق كل ما يقال . غير أن موقف الدكتور "**أولدفيلد**" فريد في بابه ولا نستطيع أن نفسر أسباب حزنه . وعلاقته مع زوجته لم يعرفها أحد، ولكن الممرضة "**هاريسون**" خدمت السيدة "**أولدفيلد**" أربع سنوات وربما تعرف عنها الكثير . وهي وإن لم تكن قد خاضت في هذا الموضوع إلا أن الإنسان يستطيع أن يقرأ في ملامحها بعض الأسرار . فقال "**بوارو**" في حزن وأسى :

– ولكننا لن نصل إلى الحقيقة !

– لا شك في أنكم إذا أخرجتم الجثة فستعرفون كل شيء .

– نعم ستنكشف لنا الحقيقة !

– لقد مرت عليكم قضايا مشابهة بالتأكيد كقضية "**أرمسترنج**"، وقضية ذلك الرجل الذي لا أذكر اسمه الآن، وقضية "**كريبون**" وغيرها . ولكن "**جان مونكريف**" فتاة ظريفة بالتأكيد ، ولا أظن أنها قد دفعته إلى ارتكاب فعلته . ولكن الرجال يفقدون صوابهم عندما يحبون . وبالتأكيد تكون النتيجة وبالا على العاشق والمعشوق . .

وكان "**بوارو**" ملتزما الصمت يفكر في كيفية استخلاص أكبر قسط من المعلومات من حديث المرأة . ثم استمرت المرأة تقول :

– وبالتأكيد يعرف الخدم كثيرا من أسرار البيوت . أليس كذلك ؟ ومن الصعب أن يمنعهم الإنسان من ترويج بعض الشائعات ! وقد طردت "**بياتريس**" عقب وفاة سيدتها وهذه غلطة أخرى ارتكبها الدكتور خصوصا في هذه الأيام التي يصعب فيها الحصول على خادمات . فقد زادت هذه المسألة شكوك الناس وظنونهم بأن طرد الفتاة حدث للتخلص منها ! فقال "**بوارو**" بهدوء :

– يخيَّل إليّ أن طريق البحث صار ممهدا ! فبدت على السيدة "**ليتران**" علامات الندم، وقالت :

– ولكن الإنسان يشعر بالاضطراب من هذا الموضوع . فستتناول الجرائد قريتنا الهادئة المطمئنة بالتجريح والتنديد .

– هل هذا يزعجك ؟

– بالتأكيد . لأني كما تعلم امرأة محافظة .

– ولكن المسألة لا تخرج عن كونها إشاعات باطلة كما تقولين ؟ !

– لكن إرضاء لضميري أقول إنه يوجد فيها ظل من الحقيقة . ولا دخان من غير نار ! فقال "**بوارو**" :

– وأنا شخصيا كان يجول بخاطري هذا الاعتقاد . ثم نهض واقفا وقال للسيدة "**ليتران**" :

– هل يمكنني أن أثق في كتمانك يا سيدتي ؟

– أوه . بالتأكيد ! لن أقول كلمة لأي مخلوق . فاستأذن "**بوارو**" وهو يبتسم، ثم وقف عند الباب ليتناول معطفه وقبعته وقال :

– أين الممرضة "**هاريسون**" الآن ؟

– إنها تعمل عند السيدة "**بريستو**" العجوز في آخر القرية ! ولم يمض وقت قصير حتى كان "**بوارو**" جالسا أمام المرأة التي تعرف أكثر من غيرها الظروف التي

أدت إلى هذه الشائعات . كانت لا تزال عندها بقية من جمال وإن تكن قد جاوزت الأربعين ، وكانت في قسماتها دلائل الجد والرزانة وفي عينيها الداكنتين بريق الذكاء . . أخذت تصغي إليه بهدوء وانتباه، ثم قالت :

– نعم . لقد سمعت تلك الحكايات الضارة التي تتناقلها الألسنة وحاولت أن أضع حداً لها لكن دون جدوى ! فقال "**بوارو**" :

– ألا تظنين يا آنسة "**هاريسون**" أنه توجد أسباب ساعدت على انتشار هذه الشائعات ؟ فلاحظ "**بوارو**" أن شعورها بالأسى قد صار أكثر وضوحا . ولكنها هزت رأسها في دهشة وحيرة . فقال "**بوارو**" :

– ربما كان السبب هو عدم الانسجام بين الدكتور "**أولدفيلد**" وزوجته . فقالت الآنسة "**هاريسون**" بلهجة التأكيد :

– كلا ، فقد كان الدكتور "**أولدفيلد**" محبا لزوجته عطوفا عليها .

– هل كان يحبها كثيرا ؟ فقالت الآنسة "**هاريسون**" بعد تردد :

– لا، لم أقل ذلك ، فإن السيدة "**أولدفيلد**" كانت صعبة المراس تريد من زوجها أن يبذل قصارى جهده في العناية بها والسهر عليها . وهذه مطالب عسيرة يصعب تحقيقها ! فقال "**بوارو**" :

– لعلك تقصدين أنها كانت تبالغ في مطالبها ؟

– نعم . وربما كان السبب في ذلك هو ضعف صحتها . فقال "**بوارو**" بحزن :

– ومع ذلك فقد ماتت !

– أوه ! أنا أعرف . أنا أعرف . . . وبدا عليها الاضطراب . فقال "**بوارو**" :

– أنا متأكد من أنك تعرفين كيف بدأت هذه الشائعات . فقالت الآنسة "**هاريسون**" :

– نعم أنا أعرف وربما كان علمي حدسا . أظن أن "**بياتريس**" أول من خلقت

هذه الشائعات .. وإني أعرف كيف بدأت في رأسها !

- نعم ..

- إنني سمعت ذات مرة الدكتور "**أولدفيلد**" يتحدث مع "**جان مونكريف**" . وأنا واثقة من أن "**بياتريس**" قد سمعت ذلك الحديث أيضا ..

- ماذا كان موضوع ذلك الحديث ؟ وصمتت الآنسة "**هاريسون**" لحظة تستجمع فيها أفكارها، ثم قالت :

- كان ذلك قبل وفاة السيدة "**أولدفيلد**" بثلاثة أسابيع . وقد كنت أصعد من الطابق الأول، فوجدت الدكتور والآنسة "**جان**" في غرفة الطعام يتحدثان سمعت "**جان**" تقول له :

- لقد طال علينا الأمد . لم أعد أطيق الصبر ! فأجابها الدكتور :

- كلا . أقسم لك يا حبيبتي أن الوقت لم يطل . فقالت ثانية :

- لا أستطيع احتمال هذا الصبر المرير . هل تظن أن الأمور تسير سيرا مرضيا ؟ فقال لها الدكتور :

- بالتأكيد كل شيء يسير على ما يرام . وثقي هذه المرة بأننا سنتزوج بعد عام على الأكثر . وصمتت الآنسة "**هاريسون**" قليلا ، ثم قالت :

- كان هذا الحديث الذي ذكرته هو أول ما سمعت . ومنه يتبين أنه لم يكن ثمة شيء بين الدكتور "**أولدفيلد**" والآنسة "**جان**" . وأنا أعرف بالتأكيد أنه كان معجبا بها وكانت بينهما آصرة ود، ولكن الأمر لم يتعد ذلك . وسرعان ما عدت أدراجي عقب سماعي للحديث ، ولكنني لاحظت أن باب المطبخ كان مفتوحا حيث كانت "**بياتريس**" تسترق السمع ، ولعلك ترى معي أن الحديث كان عاديا جدا ولكن يمكن تأويله مع الأسف بعقلية "**بياتريس**" أن الدكتور والآنسة "**جان**" كانا يتآمران على قتل السيدة "**أولدفيلد**" مع أنني شخصيا فهمت أن الآنسة "**جان**" كانت

متبرمة من طول مرض السيدة الذي سيعطلها عن الاقتران بالدكتور "**أولدفيلد**" ! فنظر إليها "**بوارو**" نظرة فاحصة، وقال :

– هل لديك أنباء أخرى تريدين الإفضاء بها إليّ يا آنسة "**هاريسون**" ؟ فأجابته في حدة :

– لا ، لا بالتأكيد ، ماذا يمكن أن يوجد ؟

– لا أعرف ، ولكن ربما توجد أشياء أخرى . فهزت رأسها . فقال "**بوارو**" :

– من المحتمل أن تقرر وزارة الداخلية إخراج جثة السيدة "**أولدفيلد**" لتشريحها. فقالت الآنسة "**هاريسون**" وهي منزعجة :

– لا .. لا .. إنه لشيء مؤلم حقا !

– أتعتقدين ذلك ؟

– أظن أن الأمر جد مخيف وسيخلق أقوالا شتى ، هذا فضلا عن الانزعاج الذي سيسببه للدكتور "**أولدفيلد**" !

– ألا تظنين أنه من الخير له أن يتم إخراج الجثة للتشريح ؟

– ماذا تعني ؟

– إذا كان بريئا فستنقطع الألسنة وتموت الشائعات . فلاحظ "**بوارو**" أن أسارير الآنسة "**هاريسون**" قد انفرجت بعد عبوس .. وتنهدت تنهيدة عميقة، ثم قالت :

– لم تخطر ببالي هذه الفكرة ولكنها الطريقة الوحيدة الواجب اتباعها . وهنا سمع تصفيقا مستمرا ، وقالت :

– إنها السيدة العجوز، السيدة "**بريستو**" قد استيقظت ويجب أن أذهب إليها لأهيئ لها وسائل الراحة قبل أن أعد لها الشاي ثم نخرج للنزهة . نعم أعتقد أن فكرتك صائبة جدا يا سيد "**بوارو**" ؛ لأن التشريح سيخرس الألسنة ويقتل الشائعات . ثم حيته بحرارة وخرجت من الغرفة . توجه "**هركيول بوارو**" إلى

مكتب البريد ليتحدث بالتليفون . . . قال له محدثه في شيء من الحدة :

- أما زلت تتحرى عن هذه القضية التافهة ؟ ألا تعلم أن الإشاعات الريفية كثيرا ما تتمخض عن لا شيء ؟ ! فقال "**بوارو**" :

- ولكن هذه القضية تختلف عن غيرها .

- حسنا . لكن إذا لم يسفر التشريح عن شيء . . . . فإن الوزارة لن تنظر إليك بعد الآن بعين الرضا .

- ولكني سأكون راضيا عن نفسي .

- ماذا تقول ؟ إني لا أسمع !

- لا شيء . . لا شيء . . ثم وضع السماعة وخرج من غرفة التليفون وتوجه نحو موظفة التليفون . . وسألها وهو يدفع لها ثمن المكالمة :

- هل يمكنك يا سيدتي أن تخبريني عن عنوان خادمة الدكتور "**أولدفيلد**" السابقة المدعوة "**بياتريس**" ؟

- "**بياتريس كنج**" ؟ لقد اشتغلت منذ خروجها من منزل الدكتور في بيتين . . آخرهما منزل الآنسة " **مارلي**" بأعلى البنك . فشكرها السيد "**بوارو**" ثم اشترى بطاقتي بريد ودفتر طوابع وحاول في أثناء ذلك أن يفتح موضوع السيدة "**أولدفيلد**" ولكنه رأى فجأة ما ارتسم على وجه الفتاة من دهشة، وقالت :

- يا للمصادفة العجيبة . . ! هاهي ذي ضالتك المنشودة التي خلقت جميع الشائعات التي سمعتها . ثم برقت عيناها قليلا وتهللت أساريرها، وعادت تقول :

- ألست تريد مقابلة "**بياتريس كنج**" لهذا السبب الذي ذكرت ؟ هاهي ذي قد حضرت في الوقت المناسب !

كانت "**بياتريس**" فتاة قصيرة يدل مظهرها على المكر . ولكن من يراها لأول وهلة يعتقد أنها غبية مأفونة لولا عيناها وما تنمان عنه من خبث ودهاء يخيبان

رجاء من يحاول الحصول على أية معلومات منها . قالت "**بياتريس**" :

– لا أعرف شيئا إطلاقًا ولست مسؤولة عما تتناقله الألسنة، ولا أعرف قصدك من سماع حديث الدكتور "**أولدفيلد**" والآنسة "**جان**" . لست من هؤلاء اللاتي يسترقن السمع ويجدن الإنصات إلى حديث الآخرين . وليس من حقك أن تقول عني كذلك . فإني لا أعرف شيئا إطلاقا ! فقال "**بوارو**" :

– ألم تسمعي قط عن مؤامرة التسميم بالزرنيخ ؟ فتهللت أسارير الفتاة، وقالت :

– نعم . لعله الذي كان موضوعا في زجاجة الدواء !

– أية زجاجة دواء ؟ فقالت "**بياتريس**" :

– إحدى زجاجات الدواء التي كانت تجهزها الآنسة "**جان**" . كانت تذوقها وتشمها، ثم تعود فتصبها في البالوعة وتملأها من الصنبور وتضيف إليها شيئا آخر فلا يتغير المزيج عن لون الماء . وذات مرة قدمت للسيدة قدحا من الشاي فشعرت بتغيير في طعمه فادعت الآنسة أن الشاي لم يصنع بالماء المغلي . هذا ما شهدته بعيني وربما توجد أشياء تخفى عليّ . هز "**بوارو**" رأسه، وقال :

– هل تحبين الآنسة "**جان**" يا "**بياتريس**" ؟

– لا يعنيني أمرها على كل حال . لقد كان الدكتور مغرما بها ويمكنك أن تستنتج من ذلك ما تريد .

فهز "**بوارو**" رأسه ،ثم عاد إلى الفندق ليصدر تعليماته إلى خادمه "**جورج**" .

جفف الدكتور "**آلان جارشيا**" ، الطبيب الشرعي يده ونظر إلى "**بوارو**" نظرة خاطفة، ثم قال :

– أظن أن النتيجة مؤيدة لوجهة نظرك الصائبة . فقال "**بوارو**" :

– أنت حسن الظن بي إلى حد بعيد !

– ما الذي دفعك إلى ذلك ؟ الشائعات بالتأكيد ؟!

– إن الشائعات تعطينا صورة واضحة لما تتناقله الألسنة . وفي اليوم التالي استقل "**بوارو**" القطار إلى "**لوجبرو**" فوجدها هائجة كخلية النحل ولم يكن لأهلها حديث سوى نبش قبر السيدة "**أولدفيلد**" وإخراج جثتها للتشريح .

وبعد أن فرغ "**بوارو**" من طعامه بالفندق قيل له إن سيدة في انتظاره . كانت الممرضة "**هاريسون**" .. دخلت عليه شاحبة اللون متجهمة الوجه وسألته :

– هل هذا صحيح يا سيد "**بوارو**" ؟ وبعد أن جلست قال لها "**بوارو**" :

– نعم . لقد وجدنا كمية كبيرة من الزرنيخ في أمعاء الزوجة . فصاحت الآنسة "**هاريسون**" :

– لا أظن مطلقا .. ثم انفجرت بالبكاء .. فقال "**بوارو**" بلطف :

– لا بد للحق أن يظهر كما تعلمين .

– هل سيشنقونه ؟

– لا نزال نحتاج إلى مزيد من الأدلة .

– لماذا لا تفرض أنه من هذه التهمة براء ؟ فهز "**بوارو**" كتفيه، وقال :

– في هذه الحالة سيهجره زبائنه . فقالت "**هاريسون**" ببطء :

– كان يبنغي أن أخبرك منذ أول الأمر ولكنني لم أظن أن في المسألة جريمة . فقال "**بوارو**" :

– ولكنني كنت أجزم بذلك . وأرجو أن تخبريني بما تعلمين .

– كنت ذاهبة مرة إلى الصيدلية، فوجدت الآنسة "**جان**" تفعل شيئا غريبا .

كانت واقفة بجوار دولاب العقاقير السامة وبيدها زجاجة أخذتها منه وراحت تفرغ من مسحوقها قليلا في علبة صغيرة . ولكنها فور أن رأتني وضعت العلبة في حقيبتها، ثم أسرعت فوضعت الزجاجة في الدولاب حتى أنني لم أستطع التحقق من نوعها ولم أتمكن من إدراك مغزى تلك الحركة إلا الآن عندما علمت أن السيدة

"**أولدفيلد**" ماتت مسمومة . وعندما أتمت الآنسة "**هاريسون**" حديثها قال لها "**بوارو**" :

– معذرة يا سيدتي ! ثم توجه لطلب مفتش بوليس "**بركشير**" بالتليفون، وعاد ثانية وبقيا صامتين لحظة كان "**بوارو**" في خلالها يطيل النظر في وجه الآنسة . وسمعها وهي تتحدث إلى نفسها بصوت خافت :

– كانت "**جان**" تخشى نتيجة هذا التشريح ، ولكن الحقيقة ظلت ثابتة رغم كل شيء .إنها فتاة حمقاء أحبت رجلا كانت زوجته لا تزال على قيد الحياة.. وهي رغم مرضها العضال كان يمكن أن تعيش طويلا . فتنهد "**بوارو**" .. وقالت الآنسة "**هاريسون**" :

– فيم تفكر ؟

– أفكر في هذه المأساة . فقالت الآنسة "**هاريسون**" :

– لا أظن مطلقا أنه كان يعرف شيئا عن هذه الجريمة . فقال "**بوارو**" :

– كلا وأنا متأكد من ذلك أيضا . وهنا فتح الباب ودخل مفتش البوليس "**جراي**" يحمل في يده شيئا ملفوفا في منديل حريري وكان هذا الشيء علبة صغيرة . فقالت الآنسة "**هاريسون**" :

– لقد رأيت هذه العلبة ذات مرة ! فقال المفتش "**جراي**" :

– وجدتها في درج المكتب الخاص بالآنسة "**جان مونكريف**" ملفوفة في منديل ولم يظهر بها أثر للبصمات . وفتح العلبة وهو لا يزال يمسكها بالمنديل، ثم نظر إلى ما بداخلها، وقال :

– أليس هذا مسحوقا للوجه ؟ وغمس فيه إصبعه، ثم ذاقه بطرف لسانه، وقال: طعمه عادي ! فقال "**بوارو**" :

– ليس للزرنيخ الأبيض أي طعم . فقال المفتش :

- سنجري تحليله فورا . ثم التفت إلى الآنسة "**هاريسون**"، وقال :

- هل يمكنك أن تقسمي بأن العلبة التي رأيتها هي هذه ؟

- نعم ، أؤكد أن هذه هي العلبة التي رأيتها مع الآنسة "**جان مونكريف**" في الصيدلية قبل وفاة السيدة "**أولدفيلد**" بأسبوع تقريبا . فتنهد المفتش . ودق "**بوارو**" الجرس فجاءه الخادم، وقال له :

- أرجو أن ترسل إليّ خادمي "**جورج**" . ودخل "**جورج**" وهو ينظر إلى سيده مستفسرا . فقال "**بوارو**" :

- لقد عرفت علبة المسحوق يا آنسة "**هاريسون**" وقلت إنها كانت مع الآنسة "**جان**" منذ عام . ولكنك ستدهشين إذا علمت أن هذه العلبة قدبيعت من محل "**ولورث**" منذ بضعة أسابيع وأنها من نوع لم يطرحه محل "**ولورث**" للبيع إلا منذ ثلاثة أشهر . فلم تحر الآنسة "**هاريسون**" جوابا ونظرت إلى "**بوارو**" بعينين داكنتين. وقال "**بوارو**" :

- هل رأيت هذه العلبة من قبل يا "**جورج**" ؟ فتقدم الخادم خطوة إلى الأمام، وقال :

- نعم يا سيدي . فقد راقبت هذه السيدة وهي تشتريها من محل "**ولورث**" يوم الجمعة 18الجاري، ثم اقتفيت أثرها حسب إرشاداتك . فأخذت الأتوبيس إلى "**دارنجتون**" حيث منزل الآنسة "**جان مونكريف**" وسرت وراءها حتى دخلت المنزل فرأيتها تدخل المنزل وهي تعتقد أنها بمنجى من الرقيب . ويمكنني أن أقول إنهم لا يغلقون أبوابهم في هذه القرية . وكان الوقت حينذاك في الغسق. فقال "**بوارو**" للآنسة "**هاريسون**" :

- هل يمكنك إيضاح هذه الحقائق ؟ لا أظن أنه كان يوجد زرنيخ في العلبة عندما اشتريتها من محل "**ولورث**" ، فإنها علبة مسحوق للوجه ولابد أنك أفرغت

محتوياتها وملأتها بالزرنيخ . ثم قال بصوت خافت :

– ليس من الحكمة أن تحتفظي بهذا القدر من الزرنيخ ! فدفنت الآنسة وجهها بين يديها، وقالت بصوت خافت :

– نعم . لقد قتلتها دون سبب . لقد كنت مجنونة آثمة . قالت "**جان مونكريف**" :

– أرجو أن تسامحني يا سيد "**بوارو**" فقد كنت حانقة عليك ، وكنت أظن أن تصرفاتك تزيد الموقف تعقيدا . فقال "**بوارو**" وهو يبتسم :

– لم يكن لي مفر من البدء بتلك الطريقة .. هكذا كانت تقول الأساطير بأنه كلما قطعت رأسًا للأفعوان نبت في مكانها رأسان . ولهذا رأينا الشائعات تنمو وتتضخم فكان من واجبي أن أصل إلى الرأس الأول .. إلى مصدر هذه الشائعات .. وبعد وقت قصير اكتشفت أنها كانت الآنسة "**هاريسون**" ..

توجهت لأراها فظهر لي أنها امرأة لطيفة ذكية ولكنها أخطأت حين ذكرت لي أنها سمعت حكاية حديثك مع الدكتور . وقد كانت حكاية مختلفة . فلو كنتما حقيقة تتآمران على قتل السيدة فإنه من الحمق أن تتآمرا في غرفة مفتوحة الأبواب وبجواركما الخادمة والممرضة تروحان وتجيئان .. كما أن الكلمات التي نسبت إليك لا تصدر عن فتاة في مثل سنك وإنما هي كلمات امرأة كبيرة مثل الآنسة "**هاريسون**" التي يصح أن تقولها في مثل هذه الظروف..

وهنا انجلت لي الحقيقة .. فلا تزال الآنسة "**هاريسون**" على جانب من الجمال.. وقد عاشرت الدكتور "**أولدفيلد**" ثلاث سنوات كانت في خلالها موضع تقديره لعنايتها وعطفها على زوجته حتى اعتقدت أنه سيطلب يدها بعد وفاتها . ولكن خاب ظنها حينما علمت أنه بدأ يحبك فراحت تروج الإشاعات بأن الدكتور قد سمم زوجته .

فعندما عرضت عليّ القضية في أول الأمر قلت لنفسي إن في المسألة مكيدة نسائية . ثم خطر لي أن أقوم بالبحث ، فلا دخان بلا نار ..

لقد دهشت حقا لقيام الآنسة "**هاريسون**" بما هو أخطر من هذه الشائعات .. فقد لفت نظري بعض ما جاء في خلال حديثها .

أخبرتني ذات مرة بأن مرض السيدة "**أولدفيلد**" كان معظمه وهما وأنها لم تكن تعانيه كثيرا . ولكن الدكتور لم يشك في أنها كانت مريضة فلم تذهله وفاتها . لقد استدعى قبيل وفاتها أحد زملائه الأطباء . ثم استدعى زميلا آخر فكان قرارهما أن الحالة جد خطيرة .

وعندما عرضت عليها فكرة تشريح الجثة خافت أولا، ولكن رغبتها في الكيد والانتقام دفعتها إلى تشجيعي لاعتقادها أن المسؤول عن الزرنيخ إنما هو الدكتور وأنت . وقد كان يوجد أمل واحد أمام الآنسة "**هاريسون**" وهو هروبك من القرية ولكنني أقمت خادمي "**جورج**" الذي لا تغفل عيناه حارسا عليك . فقالت "**جان مونكريف**" :

– إنك لمدهش حقا . وقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– إني لعاجز عن شكرك . لكم كنت غبيا ! فقال "**بوارو**" :

– وهل كنت غبية كذلك يا آنسة ؟ فقالت الآنسة "**جان**" :

– كنت في شدة الخوف والاضطراب . فقد وجدت الزرنيخ في الدولاب فعلا. فصاح الدكتور "**أولدفيلد**" :

– "**جان**" ، هل ظننت ...

– لا . لم أشتبه فيك وإنما ظننت أن السيدة "**أولدفيلد**" قد اشترت الزرنيخ لتأخذ قليلا، فتصيبها الأوجاع، فتستدر عنايتك بها وعطفك عليها، ثم أخطأت في النهاية وتناولت كمية أكبر .. وكنت أخشى أن يكشف التشريح

عن وجود أثر للسم بالجثة فتصبح النتيجة وبالا علينا . ولهذا لم يرد على لساني قط أي ذكر للزرنيخ . والمدهش في هذه المسألة أنه لم ترد على خاطري قط أي فكرة عن الآنسة "**هاريسون**" . فهي آخر من كنت اشتبه فيهم . فقال الدكتور "**أولدفيلد**" :

– وأنا أيضا .. لأنها امرأة اكتملت فيها صفات الأنوثة الرحيمة .. فقال "**بوارو**" بحزن :

– نعم .. ربما كانت صفاتها تؤهلها لتكون زوجة وفية وأما رحيمة . ولكنها وقعت تحت تأثير دوافع لم تستطع مقاومتها .

ثم نظر مبتسما إلى الرجل وإلى الفتاة التي تفيض رقة وشبابا .. وقال لنفسه:

– "لقد أثمرت جهودي وكانت نعمة وبركة على هذين الشخصين ..! "

تمت بعون الله